

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٢)	شوال المكرم ١٤٣١ هـ
العدد العاشر	أكتوبر ٢٠١٠ م

المشـرف العام — **عبـد اللّه سعـود بن عبـد الوحيد**

رئيس التحريـر — **أسعد أعظمي بن محمد أنصاري**

☆ عنوان المراسلة:	**صـوت الأمـــة** بی ١ / ١٨ جی، ریوری تـالاب، بنـارس، الهند THE EDITOR B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک باسم:	دار التاليف والترجمة، ريورى تالاب، بنارس، الهند DAR-UT-TALEEF WAT-TARJAMA B-18/1-G, Reori Talab, Varanasi - 221010 (India)
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيـــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخـة (١٥) روبيـة

☆ تليفون: ٢٤٥٢٢٤١ / ٢٤٥١٤٩٢ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١ فاكس: ٢٤٥٢٢٤٣ ـ ٥٤٢ ـ ٠٠٩١

محتويات العدد

الافتتاحية

دور المملكة العربية السعودية
في خدمة الإنسانية

أسعد أعظمي بن محمد أنصاري (٢-٢)

المملكة الإنسانية في خدمة الإنسانية:

احتلت الحكومة السعودية مكانة متميزة في تقديم العون والدعم والمساعدة والمساندة للشعوب العربية والإسلامية والصديقة وإعانة حكومات تلك الدول على توفير النماء والازدهار لأبناء تلك الشعوب ومواجهة ما تتعرض له من أضرار وكوارث، إذ بلغ إجمالي المبالغ التي اعتمدتها حكومة المملكة كاشتراكات في المنظمات الدولية والإقليمية خلال العام المالي ١٤٢٦ هـ - ١٤٢٧ هـ أكثر من ١٩٥ مليون ريال.

ومن أهم هذه المنظمات هي منظمة الأمم المتحدة التي حصلت على نحو ٢٠ مليون دولار، والاتحاد الدولي للاتصالات الذي حصل على نحو ٣ ملايين دولار، والمنظمة الدولية للطيران المدني، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومنتدى الطاقة الدولي ومنظمة اليونيدو، إضافة إلى الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومنظمة اليونيسكو ومنظمة الصحة العالمية ومكتب العمل الدولي في جنيف. وتخصص السعودية نسبا عالية من دخلها الوطني (٤ في المائة من إجمالي الناتج الوطني) للمساعدات الخارجية، سواء للدول أم المجتمعات أو المؤسسات والمنظمات المتخصصة. وتشمل برامج المساعدات السعودية جميع المجالات تقريبا، منها الزراعية، والاقتصادية، وبناء المدارس والمعاهد والجامعات والمستشفيات، وإنشاء الجمعيات الإسلامية، وأظهرت إحصاء ات رسمية من الصندوق السعودي للتنمية أن قيمة المساعدات الخارجية خلال ٢٥ عاما، (أي في الفترة من ١٩٧٥ إلى ٢٠٠٠)، للدول النامية بلغت ٥٨٢ بليون ريال (١٥٥ بليون دولار)، وشكلت نسبة ٤ في المائة من المتوسط السنوي من اجمالي الناتج الوطني، وهي النسبة الأعلى بين جميع دول العالم. ولم تقف المساعدات السعودية عند "الآنية" حال وقوع الكوارث، بل تعدت إلى إعادة إعمار وبناء المدن والمناطق المتضررة بكامل موافقها، وبالتالي إزالة آثار تلك الكوارث التي يطول تأثيرهافي الغالب. وفي السياق ذاته، تم وضع حجر الأساس للمدينة السكنية النموذجية في

منطقة (امبارا) في سريلانكا، تنفيذا لأمر خادم الحرمين الشريفين، بموجب اتفاق التعاون المشترك، الموقع بين الحملة الخيرية السعودية لإغاثة منكوبي الزلزال والمد البحري في شرق آسيا، ومنظمة الهجرة الدولية (آي. أو. إم) بمتابعة الأمير نايف بن عبد العزيز. وتشتمل المدينة النموذجية على ٥٠٠ وحدة سكنية، وجامع ومركز طبي ومدرسة للبنين، وأخرى للبنات إضافة إلى المرافق الأخرى، وتقدر كلفتها الإجمالية أكثر من ١٠ ملايين دولار على أرض مساحتها ٢٤٢ ألف متر مربع. كما تم تشكيل الحملة الشعبية لمساعدة متضرري زلزال باكستان، وبإشراف ومتابعة وزير الداخلية المشرف العام على الحملة الأمير نايف بن عبد العزيز، أبرمت الحملة مشروع بناء منازل جاهزة للمتضررين من الزلزال. وشهد توقيع الاتفاق تغطية موسعة من وسائل الإعلام الباكستانية، إذ يعد هذا الاتفاق المرحلة الثانية من توفير البيوت الجاهزة التي تبرعت بها "مملكة الإنسانية"، من المنحة التي تبرع بها خادم الحرمين الشريفين وقدرها ٥٠٠ مليون ريال، لبعض منشآت البنية التحتية في باكستان، خصوصا المدارس والمباني والطرق والمستشفيات، عن طريق الصندوق السعودي للتنمية بالتنسيق مع الجهات المختصة في باكستان.

ويبلغ عدد المنازل الذي شملها الاتفاق ٤ آلاف منزل في مدينة بالاكوت، وتبلغ كلفة المنزل ٤,٢ ألف دولار، بمساحة ٣٥٠ قدما مربعا، يحتوي على غرفتي نوم ومطبخ وشرفة خارجية (بحسب المواصفات المعتمدة من الحكومة). فيما تبلغ كلفة المشروع الإجمالية ١٦,٧ مليون دولار. وكانت المملكة أرسلت مساعدات عينية قيمتهامليونا دولار لغانا وليبيريا، تشكل جزء ا من المساعدات المقدمة للمتضررين من الجفاف والفقر في دول القرن الإفريقي، وقيمتها ١٣ مليون دولار، تنفيذا لتوجيهات خادم الحرمين الشريفين، وأرسلت السعودية إلى السنغال هدية مكونة من ١٠ آلاف رأس من لحوم الهدي والأضاحي، وذلك في إطار مشروع المملكة للإفادة من لحوم الهدي والأضاحي. (١)

☆ ولا ينسى أحد منا المجزرة الإسرائيلية التي تعرض لها الشعب الفلسطيني في بداية هذا العام ١٤٣٠ هـ التي راح ضحيتها نحو (١٥٠٠) ما بين الأطفال والمرضى والمسنين، وجرح ما يقارب (٥٠٠٠) فلسطيني، إلى جانب هدم الأحياء السكنية وقصف المساجد والمدارس والمراكز الصحية والأسواق وخزانات الوقود ومحطات الكهرباء.

(١) صوت الأمة، رجب ١٤٢٨ هـ، ص: ٥٧ – ٥٩.

وفي قمة الكويت الاقتصادية، المنعقدة في الأسبوع الثالث من شهر محرم ١٤٣٠ ه أعلن خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود – حفظه الله – عن تقديم المملكة مليار دولار، مساهمة في البرنامج المقترح من هذه القمة لإعادة إعمار غزة. (١)

☆ لقد بدأت المملكة العربية السعودية عملية إقراض كبرى في تاريخها منذ سنة ١٣٩٥ ه / ١٩٧٥ م من خلال الصندوق السعودي للتنمية، وقد بلغ عدد القروض الموقعة حتى ١٥ / ٨ / ١٤٢٢ ه الموافق ٣١ / ١٠ / ٢٠٠١ م ثلاث مائة وأربعين قرضا مجموع قيمتها حوالي اثنين وعشرين ألفا وأربع مائة وستة عشر مليون ريال، للمساهمة في تمويل ثلاث مائة وثلاثين مشروعا وبرنامجا اقتصاديا في ثلاث وستين دولة. (٢)

☆ إن المملكة قدمت للدول النامية مساعدات إنمائية ميسرة بلغت (٢٤٥) بليون ريال خلال عشرين عاما. (٣)

☆ يبلغ مجموع ما قدمته المملكة لمجاهدي الأفغان منذ عام ١٤٠٠ ه إلى ١٤٠٩ ه (٦٧٢,٤١١,١٥٥) ريال بواسطة الهيئة العامة التي شكلتها لهذا الغرض، وعلاوة على ذلك ما قدمته الهيئات الخيرية الشعبية بالمملكة، وما قدمت الدولة على مختلف تنظيماتهم وفصائلهم. (٤)

☆ جمعت الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك خلال عشر سنوات (١٤١٢ – ١٤٢٢ ه) ما مجموعه (١,٦٧,١٢٨,٠٤٢) ريال. (٥)

مساهمات القادة:

يقول الدكتور أحمد بن عبد الله الباتلي:

"لخادم الحرمين الشريفين – الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله – مواقف مشهورة في مساعدة المحتاجين من أبناء الشعب السعودي، ومد يد العون لإخواننا في فلسطين، وفي البوسنة والهرسك، وأفغانستان وكوسوفا، والصومال، والشيشان، وكشمير، وغيرهم من

---

(١) الفرقان (الكويت) العدد (٥٢٢) ٢٩ / محرم ١٤٣٠ ه، ص: ٢٠، الرابطة (مكة المكرمة) العدد (٥١٢) صفر ١٤٣٠ ه، ص: ٥٩.

(٢) صوت الأمة، جمادى الأولى والأخرى ١٤٢٦ ه، ص: ٢٠.

(٣،٤) دور المملكة .... في خدمة الإسلام، ص: ٤٨٣ – ٤٨٤.

(٥) مرآة الجامعة (جامعة الإمام ......) ١١ / مارس ٢٠٠٢ م، ص: ١٣.

الفقراء والمنكوبين واللاجئين الذين تعرضوا للحرب، في بلادهم الإسلامية، وبلغ مجموع المساعدات التي قدمتها المملكة للدول الفقيرة أكثر من مليار دولار استفاد منها (٧٠) دولة، كما يصدر خادم الحرمين الشريفين توجيهاته الكريمة بالمسارعة بتقديم المساعدات للمتضررين والمنكوبين من آثار السيول والفيضانات والزلازل ومساعدتهم بالطعام والكساء والدواء والمأوى. ووجه – رحمه الله –مرارا بتنظيم حملة تبرعات، آخرها الحملة التي تمت مساء يوم الخميس ٢ / ٨ / ١٤٢٢ هـ لمساعدة الشعب الأفغاني، وافتتح خادم الحرمين الشريفين التبرعات بتبرعه الكريم بمبلغ عشرة ملايين ريال، أثابه الله تعالى". (١)

وفي حرب الإبادة التي فرضتها إسرائيل قبل شهرين على الشعب الفلسطيني، والتي استمرت لأكثر من أسبوعين قتل خلالها نحو (١٥٠٠) فلسطيني، وجرح أكثر من (٥٠٠٠) ودمرت البنية التحتية لقطاع غزة، فلتضميد جراح هؤلاء المنكوبين وجه خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود – حفظه الله – بإطلاق حملة تبرعات عاجلة في عموم مناطق المملكة للمساهمة في مساعدة وعون وإغاثة الأشقاء الفلسطينيين والوقوف معهم للتخفيف من معاناتهم في ظل الظروف الصعبة والأحداث المؤلمة جراء الاعتداء ات الإسرائيلية الغاشمة، وقدم خادم الحرمين الشريفين حفظه الله تبرعا سخيا بمبلغ ثلاثين مليون ريال لهذه الحملة. (٢)

كما أعلن – حفظه الله – في قمة الكويت الاقتصادية المنعقدة في الأسبوع الثالث من شهر محرم ١٤٣٠ هـ عن تقديم المملكة ألف مليون دولار مساهمة لإعادة إعمار غزة، كما مر معنا في السطور السابقة.

دعوة الآخرين للعمل الخيري:

حينما تبذل حكومة المملكة العربية السعودية جل مساعيها لتخفيف معاناة البائسين والمتضررين بما وهبها الله من الوسائل والأدوات فإنها لا تؤدي هذا الواجب بغية الظهور على الآخرين والتميز عليهم، بل هي في الوقت نفسه تنادي الآخرين بالقيام بواجبهم الإنساني حتى يعم الخير والعدل وتنعم البشرية بالسعادة والأمن وتحصل على لقمة العيش. اقرء وا معي قرارات الملتقى العالمي الأول للعلماء المسلمين الذي عقد في رابطة العالم

(١) صوت الأمة، رجب المرجب ١٤٢٦ هـ، ص: ٢٠.

(٢) العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد (٢٠٥٥) ١٥ / محرم ١٤٣٠ هـ.

الإسلامي في الفترة ٣ —٥ / ربيع الأول ١٤٢٧ هـ، يقول القرار:

"وقناعة من المشاركين في الملتقى بما يمكن أن يقوم به المثقفون في مشارق الأرض ومغاربها فإنهم يذكرونهم بأن الوجدان الإنساني يستصرخهم ويدعوهم لتحمل مسؤوليتهم تجاه الإنسانية جمعاء، فها هو العالم يعيش أوضاعا حرجة، نتيجة المشكلات الدولية المتراكمة، والتي تأتي في مقدمتها الحروب المفروضة على بعض الشعوب بلا مبرر مشروع، والإرهاب الذي أصبح من أبرز مشكلات العصر، والسلام العالمي الهش، الذي لم يتمكن من منع الحروب، التي نتج عنها آلاف القتلى والمعاقين والجرحى والمشردين من الأطفال والشيوخ والنساء مما يخلف المزيد من المآسي والعداوات بين البشر.

وإن واجب المثقفين والحكماء أينما كانوا أن يهبوا من أجل التخفيف عن البشرية المعذبة، وأن ينشروا ثقافة التسامح والسلام في ربوع العالم، ويقووا الحواربين الثقافات والحضارات، من أجل التعاون بين الأمم والشعوب.

إن كلمة الحق والعدل التي ينطق بها المثقف المنصف، نصرة للقضايا العادلة لها سلطان نافذ، وبمقدورها أن تؤثر في الرأي العام العالمي الذي يسهم في تحقيق خير الإنسانية وتقدمها". (١)

بعيدا عن الأغراض والمطامع:

يلاحظ أن مساعدات المملكة الإنسانية تقدم على أسس دينية وإنسانية، فلا تفرق بين طبقة وأخرى ولا بين موقع وآخر، ولا بين ديانة وديانة كما يلاحظ أنها تخلو عن المطامع والأغراض السياسية التي لا تكاد تخلو عنها مساعدات الدول الغربية، ولذا تقوم المملكة بكل هذه الإسهامات بكامل الصمت، غير راغبة في التشهير والتنويه.

يقول الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله:

" ليس من عادة المملكة أن تذكر ما تقوم به من واجب نحو إخوانها، ونحو دول العالم الثالث، ونحو المنظمات الدولية، فقد أدت واجبها نحو إخوانها في معركة العرب المصيرية، كما اشتركت في كل الصناديق المخصصة لمساعدة وتنمية العالم الثالث، وزادت في جميع مساهماتها للمنظمة الدولية، ويمكن القول بأن المملكة قدمت في هذا السبيل ما يوازي ١٠ ٪

(١) راجع البيان الختامي بكامله للملتقى المذكور بمجلة صوت الأمة، بنارس، ربيع الأول ١٤٢٧ هـ (ص: ٥٢ — ٥٩)

من عائداتها، وهذه أكبر نسبة تقدمها أية دولة من دول العالم". (١)

ويقول الدكتور عبد الله بن موسى بن طاير محمد:

" إنه من المهم التأكيد على قضية الأهداف السياسية للدعم السعودي لاقتصاديات دول العالم الثالث والإسلامي على وجه التحديد، فالسعودية تنطلق في دعمها الاقتصادي من أهميتها الدينية للعالم الإسلامي وللمسلمين حول العالم وكونها البلد الذي تتجه إليه أنظار المسلمين عند ما يتعرضون للمحن والمصائب، ومن أهميتها لكونها بلدا ذا قوة اقتصادية كبيرة. والمقارنةبين الإنفاق السعودي على المساعدات وبين الإنفاق الغربي تمهد لنظرية الدور السعودي الإقليمي المفترض، أو المطامح السياسية المرجوة من خلال تأثيرها في الأحداث بمساعداتها الكبيرة. إن المقارنة من حيث هي تحتاج إلى المزيد من التدقيق في ظل معطيات تقول بأن السعودية هي الدولة الأولى في العالم التي تقدم هذه النسبة الكبيرة من ناتجها القومي العام للمساعدات الإنسانية والتنموية، وهي الدولة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية في حجم المبالغ التي تقدمه في هذا المجال في صورة مبالغ لا نسب.

ولكن إذا كان العالم الغربي الصناعي ينفق من أجل شراء الولاء ات السياسية أو تغيير الايدلوجيات كما كان يحدث مع الكتلة الشيوعية، وينفق من أجل تأكيد النفوذ ومساعدة العالم الثالث على استيراد منتجاته، فإن المملكة العربية السعودية تنفق مساعداتها على أساس الالتزام فقط ومصداقية السياسة، والالتزام القومي في الإطار العربي، والالتزام الديني في الإطار الإسلامي، والالتزام الإنسانى، المستمد من أصالة العروبة وأصالة الإسلام في الإطار الدولي." (٢)

ويقول عبد الكريم غزال: "أظهرت الإحصائيات – أيضا – أن السعودية هي أكثر البلدان مساعدة لشعوب العالم الثالث دون أن يكون لها من وراء ذلك أية غايات أو أهداف سياسية واقتصادية". (٣)

ويقول الدكتور سليمان الرحيلي:

---

(١) دور المملكة ... في خدمة الإسلام، ص: ٤٨٥ – ٤٨٦.

(٢) مجلة صوت الأمة، جمادى الأولى والأخرى ١٤٢٦ هـ، ص: ٢٠ – ٢١.

(٣) المملكة العربية السعودية أمام قدرها الكبير، ص: ٣٠، نقلا عن: دور المملكة .. في خدمة الإسلام، ص: ٤٨٦.

إن مساعدات المملكة العربية السعودية وجهودها الإغاثية في عهد خادم الحرمين الشريفين مؤشر حضاري يبشر بعلاقات أوثق وتكامل وتضامن أفضل في المستقبل، حيث تقدر الشعوب المنتفعة بهذه المساعدات الدور الإسلامي والإنساني الفاعل الذي قامت به المملكة بعيدا عن المطامع والمصالح والنفوذ الذي تمرره كثير من الدول والهيئات عبر مساعداتها لمجتمعات فقيرة، مستغلة ظروف الفقر والجهل والكوارث في تلك المجتمعات.

وأضاف الرحيلي بأن احتلال المملكة مكانة مرموقة عالميا ليس بحكم موقعها الجغرافي المميز أو بحكم رصيدها الحضاري المشهود منذ القدم وإلى اليوم، أو بفضل وضعها الاقتصادي فحسب، وإنما بالإضافة إلى ذلك كله إلى مواقفها الإنسانية وجهودها الإغاثية الواسعة المنبثقة من رسالة الإسلام الحضارية ومبادئه السامية نحو الإنسان المحتاج أيا كان لونه أو مذهبه أو موقعه، وأيا كانت الكوارث التي يتعرض لها، في تراحم وتكافل لا تمنعه الحدود، وذلك ترسيخ لمفاهيم الدين الإسلامي السمحة ورسالته الحضارية الخالدة التيتنظر للإنسان على أساس من العدل والمساواة، ولهذا تأتي مساعدات المملكة خالية من الأغراض والمصالح، ممتدة من الصين إلى أمريكا الجنوبية، ومتنوعة ما بين الطبية والغذائية والتعليمية، بحكمة ودراية موضوعية تبعا لحال المستفيد منها. (١)

وفي ختام هذه السطور نتضرع إلى الله العلي القدير أن يبقي المملكة الإنسانية وشعبها وقادتها ذخرا للإسلام والمسلمين والبشرية جمعاء. ويحفظها من كل سوء ومكروه، ويكتب لها الرقي والازدهار، مصداقا لقوله: وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

وصلى الله وسلم على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

☆☆☆

---

(١) مرآة الجامعة (جامعة الإمام) ١١ / مارس ٢٠٠٢ م (ص: ٥)

التوجيه الإسلامي

في التربية الخلقية

د. مقتدى حسن محمد ياسين الأزهري رحمه الله

إن الإسلام دين الإحسان والإخلاص، دين الأخلاق والآداب المثالية، دين يزكي النفوس ويطهر القلوب من أدران الخسائس، دين قد بلغ النهاية العليا في السمو، ومصدر قوة هذا الدين هو الإيمان، والحق، والإخلاص، والتفكير العقلي السليم.

لقد قصد الإسلام أن يكون الإنسان مثلا صالحا، محمود الخصال، شريف الشمائل، كريم الأخلاق، وان تمكن من عمل محرم كان عفيفا وامتنع عنه. وان رأى أمرا منكرا غيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه.

والمتتبع لآيات القرآن يرى أن صلاح الإنسان في أخلاقه الشخصية والاجتماعية وصلاح المجتمع البشري وتوجيه الفرد والمجتمع إلى الخير والحق هدف رئيسي من أهداف القرآن.

ورعاية الإسلام للأخلاق الفاضلة وزرايته بسفساف الأمور تنبئ عن ضرورة الأخلاق للحياة. والأخلاق هي ثمرة الإيمان الخالص. فما يبالي الله بإيمان المؤمنين حتى يسعوا الناس بأخلاقهم، وبقدر ما تورثنا العبادات الإسلامية شريف الصفات ومجيد الأخلاق، يكون حظنا من رضوان الله. وبقدر ما نتبع قواعد الإسلام ومبادئه السامية وأخلاقه النبيلة ومثله العليا يرتفع مستوانا في المعيشة ونظم الحياة ونعيش عيشة كريمة صالحة تسوده الرحمة ويظللها الأمن. فذلك هو ما وعدنا الله تعالى فقال: من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة.

ونظرا إلى أهمية الأخلاق في حياة الفرد والمجتمع، ونظرا إلى أن صلاح المجتمعات وفسادها منوطان بأخلاق أفرادها، قد دعا الإسلام إلى التربية الخلقية وتهذيب الإرادة واختيار الفضيلة، والغرض من التربية الخلقية هو إيجاد حياة طاهرة مقدسة، ملؤها الإخلاص والطهارة، وتكوين رجال كريمي الأخلاق، أقوياء العزيمة، مهذبين في أقوالهم وأفعالهم، نبلاء في تصرفاتهم وخلقهم. ولقد أجمع علماء التربية وفلاسفتها على أن الغرض الخلقي الذي يجب أن يرمي إليه المربي هو الغرض الحقيقي من التربية التي يصح أن يطلق عليها ذلك الإسم.

والخطوة الأولى والمهمة في مجال التربية هي تربية الفرد، ولقد أعار القرآن هذه الناحية عناية عظيمة، حيث احتوى فصولا وآيات كثيرة جدا في الحدود التي ينبغي للمسلم أن يسير في نطاقها، والأخلاق والصفات التي يجب أن يتحلى بها، والمواقف التي ينبغي أن يقفها في مختلف أدوار حياته. وقد توخى في كل ذلك أن يكون المسلم، كفرد، على أفضل ما يجب أخلاقا واستعدادا للقيام بواجبه نحو نفسه ونحو غيره ونحو مجتمعه، ليضمن لنفسه ولغيره ولمجتمعه معا القوة والسعادة والطمأنينة والاحترام.

والحكمة السامية في هذه العناية واضحة، فالأفراد هم الخلايا التي يتألف منها المجتمع. وليس من المعقول أن يكون المجتمع قويا نشيطا صالحا سعيدا إذا لم يكن أفراده أو غالبهم متصفين بالصفات والأخلاق التي تساعد على ذلك. وكلما كانوا متخلقين بكريم الأخلاق مجانبين الرذائل والفواحش والمنكرات، مقدرين ما لحسن الأخلاق وسوئها من أثر في كيانهم الخاص والعام، غير متجاوزين الحدود التي رسمها الله لهم — ساد الوئام والسلام والحق والعدل، وكان المجتمع صالحا قويا سعيدا متمكنا.

وما يحدث كل يوم في بلاد الغرب، وما أخذ يحدث في الشرق الإسلامي من مآس وفواجع وشرور وآثام وانفعالات تؤدي إلى محرج المواقف وإزهاق الأرواح وهتك الأعراض وانهدام كيان الأسرة من جراء الغلو والإفراط في التبرج والتبذل والاختلاط الواسع المنكر، يمكن أن يكون شاهدا صادقا على الحكمة السامية الخالدة التي تضمنتها الآداب والتلقينات والمبادئ القرآنية، التي تمنح كل ذي حق حقه، وترسم لكل أمر نطاقا يدور فيه من غير إفراط وتفريط، ولا تترك العناصر الشريرة تدوس الآداب والمثل بالرجل وتنشر الإباحية والفوضى باسم الحرية.

لقد بلغت الإنسانية في هذا العصر حدا من التقدم والرقي في الحضارة والمدنية، لكنها لم تقابل هذا التقدم المادي بتقدم روحي، يريها حقائق الوجود، ويفتح أمامها أسرار الحياة.

وهذا التقدم المادي قد سيطر على الإنسان، وهذه المادية قد اكتنفت حياته منذ بداية القرن التاسع عشر، والواقع أنها هي المسئولة أساسا عن تهيئة البيئة لعوامل الانحراف النفسي والسلوكي. وبدعم من التقدم العلمي والفني تزحف هذه الحضارة المادية على كل البقاع وتنشر رسالتها عن قصد أو غير قصد، وهي تهدف إلى تحطيم المعاني والمثاليات،

وإلى تجريد الأشياء من كل قيمة عدا قيمتها التي تقدر بالمال. فالإنسان في هذه الحضارة يقدر بالمال، والحياة تقدر بالكسب المادي دون أن يدخل في الحساب عمل من أعمال الخير أو لحظة من لحظات الحب والتضحية. فكيف يمكن أن يهتم مجتمع هذا شأنه بالدين وبالأخلاق، وكيف يمكن أن يرتفع فيه مستوى الإنسان الروحي فيعمل لنشر الفضائل بين الناس، ويسعى للقضاء على مظاهر الفجور والاستهتار ؟

ومن الآثار الوخيمة لهذا التفكير المادي أنه عطل في الناس شعور الرحمة والبر والتسامح والوئام والأخوة الانسانية، وكاد يميت في الإنسان — أو أماته فعلا — الضمير الذي يمكن أن يمد صاحبه بنوازع الخير والبر والحق والإنصاف.

ثم إن المادية قد لعبت دورها في شؤون الجنس، فأصبح الجنس يعني الإغراء، وفقدت الشهوة معنى الحب الذي ملأ قلوب الناس واتجه بهم إلى السماء والرسل، وعلمهم كيف يعيشون حياة طاهرة مطمئنة.

وكانت مصادر التوجيه من الصحافة والإذاعة والمسرح قد سيطرت على الحياة العامة وأقبل الناس عليها كل الإقبال، يزعمون أنهم يروحون عن القلوب وينفون عنهم الملل والسآمة. إنهم لم يفطنوا إلى أن هذا الفن المريض نوع من الغزو الثقافي الأوربي الذي يبذل جهوده كلها لتفرغ قلوب المسلمين — وخاصة الشباب منهم — من العقيدة، وينتزع منها ما أودعه الإسلام فيها من تقوى ورعاية فتنشأ أجيال تضيع الصلاة وتتبع الشهوات.

لاشك أن الإذاعة لها أهميتها في هذا العصر،فقد أصبحت جهازا من أخطر أجهزة الدولة، وأحقها بالدعم، وأولاها بالرعاية والرقابة. ولها نفوذها في حياة الشعب فهي المدرسة الشعبية الكبيرة، بل هي أكثر انتشارا وتأثيرا ونفوذا من أي مدرسة أخرى.

وكان من الممكن أن نستغل هذا المصدر في تثقيف الناس بالثقافات النافعة، وتبصيرهم واجباتهم نحو الدين والأخلاق والانسانية، وحثهم على العمل الجاد والمتواصل لبناء الأمة وتأمين المستقبل، ولكن الأسف أنه أسيء كل الإساءة في استخدام الإذاعة، فظن رجالها أن الهدف من الإذاعة هو نشر الأغاني المبتذلة وإثارة الغرائز الجنسية بين الناس بأحاديث الحب والغرام. إن مستوى هذه الأغاني الفني منحدر ومعانيها مائعة رخيصة.

والصحافة ليست أحسن حالا من الإذاعة، فهناك صحف ومجلات تنشر قبيح الصور، والدراسات الجنسية، إشاعة للهوى، وتحريضا على الفجور، وصرفا للشباب عن ميادين التربية الجادة والتعاليم الخلقية. وهناك كتاب يبررون للشباب نزواتهم وشهواتهم، لينطلقوا مع الوجودية إلى التبرم بالأخلاق ويتخلوا عن الفضائل ومعالي الأمور.

وفي الأفلام السينمائية نرى أنها في جملتها ترمي إلى شيء واحد، هو إبراز الأنوثة العارمة الطاغية، وترمي إلى إظهار المفاتن الجسدية عند النساء بكافة الطرق الفنية الممكنة. ثم يحفل الفيلم بالراقصات المتفننات في التثني، والفتيات الجميلات الفاتنات في أوضاع شتى تظهر فتنتهن.

وهكذا يزعم دعاة الإباحية والفساد أنهم يدعمون الحضارة ويمهدون السبيل للتقدم والرقي. ويفوتهم أن ذلك إفساد في الأرض وتضييع للحضارة والسلام، فالتحرج من المحرمات شارة من شارات النبل والارتفاع، ودليل يقظة الضمير وكمال الوعي. والفوضى والإباحية لا تتفق مع حضارة ولاتقدم ولا دين. والإنسانية لا يمكن أن تتقدم إلا باتباع الشرعية الإلهية، وباحتضان أصول الأخلاق ونواميس العفاف والطهارة.

وعلى العلماء والمصلحين في هذا الوقت مسئولية خطيرة، هي مسئولية توجيه الشباب من المسلمين وهدايتهم إلى الصراط المستقيم، وبث الروح الديني في نفوسهم، والأخلاق الإسلامية في قلوبهم، حتى يتخذوا من المبادئ الروحية العالية دستورا لهم، في أقوالهم وسلوكهم وأعمالهم ويكونوا قدوة حسنة لغيرهم ولبنة صالحة في بناء مجتمع طاهر يقدس فيه التعاليم الإسلامية والأصول الأخلاقية، وينتشر منه نور الهداية والأخلاق، والأمانة والعفاف، فتستريح الإنسانية من الآلام المتتابعة التي وقعت فيها منذ أن ابتعدت عن تعاليم الإسلام وتاهت في بيداء الفوضى والإباحية والإنحراف.

ربنا هيئ لنا من أمرنا رشدا.

(مجلة صوت الجامعة: جمادى الأولى **1391** = يوليو **1971** م)

* * *

تفنيد المزاعم:

سَقَطَاتُ هَشِيمِ الـمُحتَظَر

كتاب الشيخ عداب الحمش في المهدي المنتظر

(14)

بقلم: الدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي
مكة المكرمة

22 – قال الشيخ عداب: الجهة السابعة: تصحيح الحافظ ابن حجر والسيوطي وأحمد شاكر والألباني. وجوابه من وجهتين اثنتين: الأولى: إذا كان هؤلاء العلماء جميعا قد صححوه، فكيف تجرأ الشيخ البستوي على تحسينه فقط. وهو مقلد لهم في الرواة والنقد؟ (ص **313**)

قلت: أولا: هذا أيضا دليل آخر على عدم استيعاب الشيخ عداب لما يقرأ وتسرعه في النقد والرد. فإني قد ذكرت في كتابي بعد نقل كلام ابن حجر (وسيأتي في الرد على السقطة العدابية التالية): "ورمز له السيوطي بالحسن، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الألباني: صحيح" والشيخ نقل هذا الكلام بكامله في (ص **309**) من كتابه. فقول الشيخ: "إذا كان هؤلاء العلماء جميعا صححوه فكيف تجرأ الشيخ البستوي على تحسينه فقط" يعني أن الشيخ لم يفهم كلامي "ورمز له السيوطي بالحسن".

ثانيا: لقد ذكرت في مقدمة كتابي (ص **19**): "بعد ذكر تراجم رجال الإسناد ... إن وجدت في الحديث حكما من أحد من العلماء المعتمدين في التصحيح والتضعيف .... ذكرته. فإن كان حكمه ..... موافقا لما وصلت إليه أو قريبا منه سكت عليه. وقلت في الحاشية: كان يصحح حديثا أراه حسنا فقط .... " فلو كان الشيخ قرأ كلامي هذا وفهمه لوفر على نفسه تسويد هذه الأسطر في كلام لا طائل تحته، إلا إذا كان من باب المكابرة والمعاندة فقط. فالأمر بين الصحيح والحسن قريب. والفرق بينهما فرق اصطلاحي فقط. أما من ناحية الاحتجاج والعمل فكلاهما سواء. ولذلك نرى أن المؤلفين في الصحاح يطلقون على كتبهم "الصحيح" فقط. ولم نعرف أحدا سمى كتابه "الجامع الصحيح والحسن" وإن كان فيه ما يمكن أن يطلق عليه "حسن" حسب مصطلحات المتأخرين. وإطلاق "الحسن" على الحديث اشتهر من الإمام الترمذي فمن بعده وإن وجد التعبير "بالحسن" أحيانا في كلام السابقين أيضا لكن ليس عندهم اصطلاح محمود، لذلك فمنهم من يطلق "حسن" على "الغريب" ومنهم من يطلق

الحسن على "حسن المعنى " وهلم جرا (وانظر مقدمة تحقيقي لكتاب "معرفة الثقات" للإمام العجلي)

قال الإمام ابن الصلاح: من أهل الحديث من لا يفرد نوع الحسن ويجعله مندرجا في أنواع الصحيح لاندراجه في أنواع ما يحتج به. وهو الظاهر من كلام الحاكم أبي عبد الله الحافظ من تصرفاته. وإليه يومئ في تسميته كتاب الترمذي بالجامع الصحيح". (علوم الحديث ص 36)

وقد سبق أن الشيخ عداب نفسه ذكر في (ص 223) ما نصه: "ولا يخفى أن أكثر علماء الحديث متفقون على أن شرط ابن حبان في الصحة دون شرط البخاري ومسلم، وأنه يمزج بين الصحيح والحسن كما يقولون".

ثم قال الشيخ في الحاشية في الصفحة نفسها: "تكلمت على هذه الدعوى في عدد من مصنفاتي الحديثية منها: "ابن حبان ومنهجه في الجرح والتعديل، وأبرزت أن هذا منهج أصحاب الصحاح جميعا".

ثم قال الشيخ في (ص 264): فلو كانت هذه المسألة في دائرة الاعتقاد [1] وكانت الأحاديث الصريحة الواردة فيها تبلغ درجة الحسن لذاته لرأينا جميع ما يبلغ هذه الدرجة منها في الصحيحين لقلتها. لأن البخاري ومسلما يخرجان من أحاديث هذه الدرجة القدر اللازم منها في الأبواب التي لا تتوفر فيها الأحاديث الصحيحة ويحتاج إليها في العلم والدين[2]، وهذا يعرفه من له أدنى معرفة بنقد الحديث التطبيقي لأحاديث الصحيحين" انتهى.

قلت: مع العلم بأن البخاري ومسلما كلا منهما سمى كتابه "بالصحيح" ولم يقل أحد منهما "الجامع الصحيح والحسن" فلو كان الشيخ عداب "له أدنى معرفة بنقد الحديث التطبيقي" لما اعترض على مثل هذا الاعتراض الواهي.

وفي صنيع الشيخين هذا خير دليل على أن أئمة أهل الحديث رحمهم الله لا يفرقون بين "الصحيح" و "الحسن" من ناحية الاحتجاج والعمل. فإذا تبين للإنسان بعد البحث

---

[1] لقد سبق أن أوضحت أن كل أمور الإسلام له صلة بالاعتقاد فلا يوجد في الإسلام شيء ينفصل عن الاعتقاد فيمكن الرجوع إليه.

[2] والبخاري ومسلم لا يخرجان من الأحاديث الصحيحة أيضا إلا القدر اللازم لهما لم يحاولا قط إخراج كل الأحاديث الصحيحة. وهذا أمر يعرفه كل من وفق لقراءة الصحيحين بالفهم والإدراك ولو مرة واحدة في عمره. وكثيرا ما ينقل الترمذي عن البخاري تصحيح أحاديث لم يخرجها البخاري في صحيحه.

والتحقيق أن هذا الكلام ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب الأخذ به في العقائد والأعمال والأخلاق والغيبيات وفي كل شيء.

على أن شيخنا [1] الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله وأسكنه فسيح جناته قد صرح بأن إسناد ياسين العجلي حسن، فقد قال في سلسلة الأحاديث الصحيحة (5 / 486، حديث 2371) بعد ما ذكر الكلام الوارد في ياسين العجلي ما نصه: (قلت: وسائر الرواة ثقات فالإسناد حسن، لكن متابعة سالم بن أبي حفصة المتقدمة، وهو صدوق في الحديث، ترفع الحديث إلى مرتبة الصحيح، والله أعلم."

وهذا النص منه ذكره الشيخ عداب نفسه في كتابه هذا في (ص 53) ولكن الشيخ كثير النسيان.

قلت: أما أنا فقد اكتفيت بتحسين الحديث فقط لأني وبسبب قلة اطلاعي لم أجد تراجم بعض رواة متابعة سالم بن أبي حفصة، ولكن كما ذكرت لا فرق عندي بين الصحيح والحسن من ناحية الاحتجاج والعمل، والله أعلم.

أما قول الشيخ عداب: "فكيف تجرأ الشيخ البستوي على تحسينه فقط؟" قول غريب منه، لأن الجرأة تقتضي من الإنسان أن يتطلع إلى الأعلى والأفضل. أما أنا فقد اكتفيت هنا بالأقل، فكان الصواب أن يقول الشيخ: "فكيف اكتفى الشيخ البستوي بتحسينه فقط" أو نحو هذا. وهذه غلطة ثانية من الشيخ في عبارة لم تتجاوز سطرين من كتابه (ص 313).

وأما قول الشيخ: "وهو مقلد لهم في الرواة والنقد". وهي غلطة ثالثة من الشيخ في خلال سطرين سامحه الله.

وهذا القول منه يفيد أن الشيخ لم يفهم حتى الآن الفرق بين التقليد والتحقيق والموافقة والاستئناس، وقد سبقت منه أمثلة أخرى من هذا القبيل في حق باحثين وعلماء آخرين.

وعلى الرغم من أن الشيخ عداب قد اعترف في (ص 408، س 1) من كتابه هذا أنه "مقلد شافعي". ومع ذلك فهو يعير غيره بالتقليد، فإن كان التقليد عارا فهو قد حكم بنفسه على نفسه بهذا العار. أما أنا فقد درست جميع الأحاديث التي ذكرتها في كتابي

---

[1] لم أدرس على الشيخ الألباني رحمه الله في فصول دراسية نظامية، ولكني حضرت عددا من مجالسه في مكة والمدينة وجدة وسألته عددا من الأسئلة وأجاب عليها الشيخ رحمه الله بالتفصيل. وما استفدته من كتبه وتحقيقاته فإنه أكثر بكثير مما درسته على أي شيخ آخر، رحمهم الله جميعا وأسكنهم فسيح جناته.

دراسة علمية مفصلة وذكرت أسانيدها وطرقها ودرست رجالها وخاصة من عليه مدار الحديث ثم حكمت على كل حديث ما توصلت عليه ومع ذلك ذكرت ما وجدت من أحكام العلماء الآخرين في كل حديث سواء كان موافقا لحكمي أو مخالفا له. وكل عاقل يفهم أن هذا ليس من التقليد في شيء، بل هو التحقيق بعينه رضي ذلك الشيخ أم أبى.

23 – كنت ذكرت في كتابي (ص 156) أن الحافظ ابن حجر رحمه الله يرى صحة هذا الحديث، لأنه قال في تهذيب التهذيب في ترجمة ياسين العجلي: "وقع في سنن ابن ماجه": "عن ياسين" غير منسوب، فظنه بعض الحفاظ المتأخرين يسين بن معاذ الزيات فضعف الحديث به فلم يصنع شيئا".

واعترض عليه الشيخ عداب بقوله: "إن قول الحافظ لا يدل إطلاقا على تصحيحه للحديث" ثم فسره بقوله: "أما قوله فضعف الحديث به فلم يصنع شيئا" يعني أنه لم يضف جديدا. فالحديث ضعيف بالعجلي، فتضعيفه بالزيات ليس فيه إضافة، وفاعله لم يصنع شيئا مفيدا. فحمل الشيخ البستوي كلام الحافظ على أنه يرى صحة الحديث فهم غريب. (ص314)

قلت: فهمي لقول الحافظ ليس غريبا، ولكن محاولة الشيخ تحريف قوله وتفسيره بما لا يرضى به قائله هو الغريب، فلو أن الشيخ فكر في فاء السببية فقط لما نطق بمثل هذا التفسير الخاطئ، فقول الحافظ على وجه الاختصار "فظنه ياسين الزيات فضعف الحديث به" يدل بكل وضوح أن ظنه الخاطئ هو سبب تضعيفه لهذا الحديث. وهذا يدل على أن الحافظ لا يتفق معه في تضعيف هذا الحديث ولذلك قال "فلم يصنع شيئا" أي أن عمله هذا لا يساوي شيئا.

وقد أبى الله إلا أن يظهر تناقض الشيخ عداب حتى في هذه الجملة الصغيرة، فقد سبق وقبل صفحات قليلة من هذا الموضع أن الشيخ عداب نفسه وصف هذا الحديث بأنه "مقبول" عند الحافظ ابن حجر، فقال الشيخ عداب قبل ثلاث صفحات فقط عند ذكر إبراهيم بن محمد ابن الحنفية (ص 31، س 5) ونص كلامه هناك: "وقول ابن حجر (صدوق) بناء على أن الرجل لم يجرح، وقد وثقه حافظ كالعجلي وليس له سوى هذا الحديث "المقبول" في نظر الحافظ، فصار بذلك صدوقا".

فهذا تصريح واضح من الشيخ عداب أن هذا الحديث مقبول في نظر الحافظ ولكن التناقض من لوازم كتاب الشيخ وله في كل مقام مقال، وسامحه الله.

ولكي يكون القارئ الكريم على علم بأن فهم البستوي لكلام الحافظ ابن حجر هو الصحيح أذكر له بعض الأمثلة من كلام الحافظ ابن حجر استعمل فيها هذا التعبير نفسه.

فقد قال في ترجمة إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي (وهو ثقة، تكلم فيه بلا حجة كما في التقريب): وأطلق ابن حزم ضعف إسرائيل ورد به أحاديث من حديثه فما صنع شيئا". (التهذيب 1 / 263) وهذا يعني بكل وضوح أن الحافظ ينكر على ابن حزم تضعيفه لإسرائيل هذا ورد أحاديثه لهذا السبب، فهل يقول قائل إن ابن حجر يريد بكلامه هذا تاييد ابن حزم في تضعيفه إسرائيل بن يونس هذا.

مثال آخر: قال في لسان الميزان "أبو عبد الرحيم كوفي زنديق ..... وهو المعنى بقول إبراهيم النخعي: إياكم وأبا عبد الرحيم والمغيرة بن سعيد فإنها كذابان. وأما من زعم أنه أراد بذلك مسلم بن عبد الرحمن فما صنع شيئا" وهذا أيضا واضح فإنه ينكر على من زعم أن أبا عبد الرحيم في كلام النخعي هو مسلم بن عبد الرحمن، وأن زعمه هذا ليس له أي قيمة.

24 – قال الشيخ عداب: "وأما تحسين السيوطي فلا يفرح به، لأن السيوطي مقلد في النقد، وتساهل الشيخ أحمد شاكر وعدم التفاته إلى العلل الخفية – غالبا – معروف، ولم يأت الشيخ ناصر في صحيحه بزيادة عما ذكره الشيخ البستوي."

قلت: ولم يوضح الشيخ عداب من هو الذي قلده السيوطي في تحسين هذا الحديث. ولكن هذا تصريح من الشيخ بأن هناك إمام أو أئمة قبل السيوطي صححوا أو حسنوا هذا الحديث، فقلدهم السيوطي.

أما الشيخ أحمد شاكر والشيخ الألباني رحمهما الله فهما القدوة في تخريج الأحاديث وتحقيقها في هذا العصر، ويؤيدهما التحقيق العلمي النزيه لهذا الحديث، فإذا اتفق ابن حجر، والسيوطي، وأحمد شاكر، والألباني على تصحيح حديث أو تحسينه وأيدهم البحث العلمي فلا شك أن لكلامهم قيمة وأي قيمة.

25 – قال الشيخ عداب: ولقد أحسن الشيخ شعيب في تخريجه مسند الإمام أحمد حين ضعف هذا الحديث. (ص 314)

قلت: إن الشيخ عداب يستنكر على أنني مقلد لابن حجر والسيوطي وأحمد شاكر والألباني، ثم يأتي ليقلد هو نفسه الشيخ شعيبا في تضعيف هذا الحديث، أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم الآية.

أما تضعيف الحديث في التعليقات على المسند فلا نستطيع أن نجزم بأنه من الشيخ شعيب نفسه فقد شاركه في هذه التعليقات ستة آخرون. فلا ندري هذا الجزء كان من نصيب من منهم، وأيا كان الأمر فإني لم أحسن هذا الحديث تقليدا لأحد ولا أضعف غيره تقليدا لأحد، بل حكمت عليه بما توصلت إليه بعد البحث والتحقيق قدر الاستطاعة وأسأل الله التوفيق والسداد.

والخلاصة: أن هذه خمس وعشرون سقطة من سقطات كتاب الشيخ عداب في المهدي المنتظر في تحقيق حديث واحد فقط، وفي العمل الذي افتخر به الشيخ واعتبره نموذجا للتحقيق العلمي فكيف يكون الحال في الأحاديث الأخرى، ومن هنا يستطيع القارئ الكريم أن يدرك أن كلام الشيخ عداب في دراسة وتحقيق الأحاديث بعيد عن منهج المحدثين، وهو في حاجة إلى أن يختلي بنفسه ويعيد النظر فيما قاله من جديد، فإن تضعيف الأحاديث مع سبق الإصرار والترصد أمر غير مناسب. ونسأل الله العافية.

بقي الكلام في أن هذا الحديث قد ورد موقوفا أيضا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد خرجت الموقوف أيضا في كتاب برقم (9). واعتبر الشيخ عداب ذلك علة في الحديث. ولكن الواقع أنه ليس بعلة، فقد رواه جماعة من الثقات عن ياسين العجلي وهم:

1 – أبو داود الحفري واسمه عمر بن سعد بن عبيد – ثقة عابد .

2 – أبو نعيم الفضل بن دكين الكوفي ، ثقة ثبت .

3 – سفيان الثوري، ثقة حافظ فقيه عابد، إمام حجة، كان ربما دلس. (فيما ذكره ابن عدي 7 / 2643)

4 – عبدالله بن نمير الهمداني الكوفي ثقة صاحب حديث من أهل السنة. (فيما ذكره أبو نعيم في الحلية 3 / 177)

5 – يحيى بن آدم الكوفي، ثقة حافظ فاضل (روايته في مسند إسحاق كما ذكرها ابن حجر في النكت الظراف مع تحفة الأشراف 6 / 444)

6 – يحيى بن يمان العجلي الكوفي، صدوق عابد يخطئ كثيرا وقد تغير (4 م)

7 – القاسم بن مالك المزني، أبو جعفر الكوفي، صدوق فيه لين. (من رجال البخاري ومسلم)

وهؤلاء كلهم رووه عن ياسين العجلي بإسناده مرفوعا، ورواية عند ابن أبي شية عن وكيع عن ياسين العجلي موقوفا، فلاشك أن رواية الجماعة أقوى وأرجح.

على أن أبا نعيم ذكر رواية وكيع مع رواية الجماعة ولم يشر إلى أي فرق بينهم، فقال: "رواه وكيع وابن نمير وأبوداود الحفري عن ياسين" (3 / 177) فلم يفرق بين رواية وكيع وغيره، فهل هذا يشير أن وكيعا أيضا رواه على الوجهين مرفوعا وموقوفا، والله أعلم.

ثم وجدت الحافظ ابن حجر في (النكت الظراف المطبوع مع تحفة الاشراف (7 / 444، حديث 10270) ذكر هذا الحديث وقال فيه "ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده عن يحيى بن آدم عن ياسين، ورواه قيس بن الربيع عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية عن أبيه لكن لم يرفعه" وقيس بن الربيع هذا قال فيه الحافظ "صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به" (التقريب ص 804) بالإضافة إلى أن الإسناد إليه لم يذكره الحافظ فلا تتقوى به رواية وكيع. فهو ليس أحسن حالا من رواية سالم بن أبي حفصة في متابعة ياسين العجلي، والله أعلم.

على أن هذا الاختلاف في رفع الحديث أو وقفه لا يضر شيئا في صحة الحديث فإن هذا من الأمور الغيبية التي لا يقال فيها بالرأي فحتى الموقوف له حكم الرفع.

قال الإمام أبو بكر ابن العربي في شرح الموطأ: واعلموا أن ورود الحديث تارة موقوفا وتارة مسندا ليس بغمز فيه فإن الراوي قد يخبر عن نفسه بما سمع من نبيه صلى الله عليه وسلم (القبس شرح الموطأ 2 / 514، صيام يوم عاشوراء)

ومن أمثلة ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: تسحروا فإن في السحور بركة، فقد رواه عدد من الصحابة مرفوعا منهم أبو هريرة رضي الله عنه ثم ورد أيضا موقوفا على أبي هريرة من قوله، رواهما النسائي وقال الشيخ الألباني "صحيح، موقوفا، والمرفوع أصح". (صحيح سنن النسائي 2 / 104 حديث 12148)

(يتبع)

* * *

الدعوة الإسلامية

تأصيل المنهج الدعوي
في ضوء الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح

(3)

معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية

مسائل الانضباط العلمي:

الانضباط العلمي يشمل مسائل:

المسألة الأولى: أن يكون الداعية يعلم من نفسه أنه متمكن علميا فيما يدعو إليه، لا نشترط في الدعوة العلم الكامل، وإنما من علم شيئا بدليله وفهمه فإنه يحق له أن يدعو إليه، فإذا علمت التوحيد وفهمته تدعو إليه، وإذا علمت مسائل من الشرع بدليلها ووضوحها فإنك تدعو إليها، ولا تحلل ولا تحرم إلا بدليل.

ومن الآيات في هذا الباب قول الله – جل وعلا –: (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون). [1]

وهذا يبين لك شدة خطر القول بأن هذا حلال، وهذا حرام [2]، كما عَنْوَنَ بعض المؤلفين كتبهم بالحلال والحرام، وهذا من أشد الأشياء أن تقال، لأن المرء لا يجزم بموافقة حكم الله – جل وعلا – في المسائل الاختلافية، أو في المسائل المجتهد فيها، وقد كان منهج السلف في هذه المسائل هو الورع والاحتياط في الدين، فلا يقولون: هذا حلال إلا لما اتضح دليله من أدلة الشرع، ولا يقولون: هذا حرام إلا إذا اتضح دليله. وكثير منهم يعبر بتعبير: أكرهه، لا أحبه، أو يقول: لا يجوز هذا. ونحو ذلك.

وذلك بعدا منهم وخلوصا من استعمال لفظ الحلال ولفظ الحرام، ولهذا قال الفقهاء – رحمهم الله تعالى – في تخريج كلام الأئمة، ككلام الإمام الشافعي، والإمام أحمد وغيرهما: إنهم يريدون كراهة التحريم، لأن هذا ليس مكروها بمعنى أنه يثاب تاركه، ولا يعاقب فاعله، لكنه يدخل في قواعد الشرع في أنه في تلك المسألة أنه يعاقب فاعله، لكنهم لم ينصوا على التحريم تورعا، وخوفا من الله – جل وعلا –، وهذا من باب الأدب الرفيع، والخوف من الكذب على الله – جل وعلا –، ومن باب الامتثال لما جاء في التنزيل،

---

[1] (النحل: 116).

[2] قال "الشافعي": "ليس لأحد أن يقول في شيء: حلال ولا حرام إلا من جهة العلم، وجهة العلم ما نص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع، أو القياس على هذه الأصول وما في معناها" "جامع بيان العلم وفضله" (2: 26).

وقد قال الله سبحانه: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون، قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون، وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) [1].

قال العلماء في تفسير هذه الآية: كفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل من الأحكام، وكفى بها باعثة على وجوب الاحتياط في الأحكام، وألا يقول أحد في شيء: هذا جائز، وهذا غير جائز إلا بعد اتقان وإيقان، ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت، وإلا فهو مفتر على الله – عز وجل –، وهذا من شديد الوعيد: (ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون) [2].

وهذا يوجب الخوف من الدخول في الفتيا في كل ما يسأل عنه الناس. وهناك غير هذه الآيات كثير.

وأماالأحاديث، فمنها قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخاري ومسلم [3] وغيرهما من حديث "عبد الله بن عمرو بن العاص" – رضي الله عنهما –: "إن الله لا يقبض هذا العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا".

وقوله صلى الله عليه وسلم [4]: "من أفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه".

المسألة الثانية: أن يكون هناك علم بأخلاق الداعية، الانضباط بالأخلاق المرجوة، التي هي أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته وأخلاق الصحابة، ومن أعظمها: الإخلاص، والصبر، ومعرفة الحق، والخلق الحسن، وحسن الكلام مع الناس، ولين الجانب، والتعبد،والقدوة الحسنة،وهكذا، فالخلق الذي أسماه عدد من أهل العلم السلوك، هذا من المهمات في الانضباط العلمي لدى الداعية، لأن من لا خلق له فإنه لا يكون علمه علما صحيحا، فإن من لا صبر له، ولا أناة، ولا حسن جانب، ولا تؤدة، ولا حلم، فكيف يكون داعيا ؟!

المسألة الثالثة: أن يكون عنده انضباط علمي في تناول واقع الناس، وواقع الناس مختلف، الناس ربما كانوا في بلد ما لديهم عادات، لديهم أمور، فالعلم قد يؤدي إلى شيء، لكن الانضباط لدى الداعية بالعلم يجعله يهتم بمهارات مخاطبة الناس.

---

[1] (يونس: 59 – 60). قال "ابن كثير" في "تفسيره" (4: 276): "وقد أنكر الله – تعالى _ على من حرم ما أحل الله، أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء التي لا مستند لها ولا دليل عليها، ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة".

[2] (يونس: 59).

[3] أخرجه "البخاري" في "صحيحه" في (كتاب العلم باب كيف يقبض العلم) (100)، و "مسلم" في "صحيحه" في (كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان) (2673). واللفظ للبخاري.

[4] أخرجه "أبوداود" في "سنن" في (كتاب العلم باب التوقي في (الفتيا) (3657)، و "الحاكم" في "المستدرك" في (كتاب العلم باب من أفتى الناس بغير علم كان إثمه على من أفتاه) (447).

إذن عندنا ثلاثة عناصر، العنصر الأول: العلم، وهذا مهم وهو الأصل. والعنصر الثاني: الخلق، والعنصر الثالث: المهارة.

ما صلة هذا بالانضباط؟ لا يمكن أن نكون في اختلافنا في أمور الدعوة، وفي مناهج الدعوة، والناس فيما يأتون وما يذرون يظنون أن يكون العلم وحده علاجا. هناك كثير ممن عرفوابالعلم لكن ليس لديهم خلق الداعية، أو ليس لديهم مهارة الداعية التي تجعله ينضبط دعويا وعلميا بأصول العلم، دعوة بعلم وبأخلاق دون مهارة في مخاطبة الناس يوقع الدعوة في أمور كثيرة متنوعة.

إذن لابد أن يكون الداعية الذي هو على منهاج السلف الصالح عالما خلوقا بصيرا بكيفية إيصال دعوته، وإنما أوتيت الدعوة السلفية في كثير من الأنحاء على صوابها، وحسن منهج أهلها في ألا يكون هناك خلق ذميم مع حامل العلم، فيؤتي من هذا القبيل [1]، لهذا إذا أردنا أن ننهض بدعوتنا الإسلامية على منهاج السلف الصالح فلابد أن يكون هناك عناية بانضباط علمي ودعوي مبني على هذه العناصر الثلاثة: الأول: العلم بسعته بأصوله بقواعده. الثاني: الأخلاق. الثالث: مهارة تعامل الداعية مع الناس.

الدعوة إلى الجماعة ونبذ الفرقة:

السمة السادسة: ومن سمات السلف الصالح في دعوتهم أنهم دعاة إلى الجماعة ودعاة إلى نبذ الفرقة، فكل وسيلة من وسائل اجتماع الناس فإنهم يأتونها، وكل وسيلة من وسائل افتراق الناس فإنهم يبتعدون عنها، ولذلك كانت دعوتهم إلى السنة، وإلى التوحيد، وإلى لزوم العلم والعمل دعوة إلى الاجتماع، لأن الاجتماع هو اجتماع في الدين.

والجماعة جماعتان: جماعة في الدين وجماعة في الأبدان، في الدنيا اجتماع أبدان الناس واجتماع مصالحهم ودنياهم، واجتماع الناس في دينهم وسيلة لاجتماعهم في دنياهم.

لذلك من سمات منهاج السلف الصالح في الدعوة أنهم دعاة إلى الاجتماع وإلى نبذ الفرقة.

وقد أمر الله – تعالى – بالاجتماع ونهى عن الافتراق فقال: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [2]، فإقامة الدين وعدم التفرق فيه هذا دعوة إلى الجماعة في الدين ونبذ الفرقة.

السمع والطاعة لولي الأمر:

السمة السابعة: من الخير الاجتماع على من له السمع والطاعة، وله الولاية، وهو ولي الأمر المبايع، فالاجتماع عليه واجب.

---

[1] قال "وهب بن منبه": العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا، فتشربه الأشجار بعروقها، فتحوله على قدر طعومها، فيزداد المر مرارة، والحلو حلاوة، فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها وأهوائها، فيزيد المتكبر كبرا، والمتواضع تواضعا: وهذا لأن من كانت همته الكبر وهو جاهل فإذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا. وإذا كان الرجل خائفا مع علمه فازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا" "موعظة المؤمنين" (287).

[2] (الشورى: 13).

وهو من سمات منهج السلف الصالح، ولذلك ذمه الخوارج وذمه الفرق من المعتزلة والكرامية والشيعة وأشباههم، لأنهم يدعون إلى الخروج على ولاة الحق وعلى من له البيعة الشرعية. وهذا يجعلنا نقول: إنه ليس من الدين ولا من الكتاب والسنة ولا مما دل عليه منهج السلف الصالح أن يكون هناك في بلد من بلدان الإسلام بيعتان، بيعة على السمع والطاعة للدولة، وبيعة أخرى للجماعة، أو بيعة دعوية، أو بيعة سلوكية، أو بيعة طرقية، فليس هناك إلا بيعة واحدة، فكل بيعة خلاف البيعة المعروفة التي تؤدي للسمع والطاعة لإمام المسلمين ولولي أمرهم فهي باطلة. فلا يصح إذن أن تدعو جماعة من الجماعات في منهج دعوي إلى بيعة مرشد لها، أو إلى إمام لها، أو إلى شيخ من المشايخ عندهم أو إلى شيخ طريقة، أو إلى إمام، أو نحو ذلك، لأن هذه البيعات لا دليل عليها، وهي مخالفة لما دل عليه الدليل.

ونهج السلف الصالح في أن البيعة واحدة غير متعددة، فليس هناك عدة بيعات في المنهج الدعوي الذي سلكه السلف الصالح، وبالتالي فأي شيء من هذا سيؤدي إلى فرقة، وإلى اختلاف، وإلى منابذة لطريقة السلف الصالح وهو مرفوض.

الوسطية والاعتدال:

السمة الثامنة: ومن سمات السلف: اعتناؤهم بالوسطية والاعتدال.

الوسطية والاعتدال معناهما أن يأخذوا في الأمور بالوسط بين طرفين، فليس السلف الصالح مع أهل الغلو في غلوهم، وليسوا مع أهل الجفاء بجفائهم، ليسوا مع أهل الغلو في الدعوة ولا في العمل ولا في العلم، وليسوا مع أهل الجفاء في الدعوة أو في العمل أو في العلم، وإنما هم وسط بين ذلك، فكما أنهم وسط في توحيد الله، وفي صفاته، وفي السنة، وفي السلوك بين طرفين فكذلك هم في منهاج الدعوة وسط بين طرفين، وهذا يجعل دعوتهم قابلة للانتشار والبقاء، لأننا عرفنا بالتجربة أن كل دعوة خرجت عن منهاج السلف الصالح بغلو أو بزيادات أو بشيء من المبالغة فإنه لا يكتب لها الاستمرار، وإنما يكتب الله الاستمرار للدعوة التي هي على منهاج السلف الصالح، ولذلك انظر في كتب الفرق، وما أكثرها! تجد أن فرقا كثيرة أتت وانتهت واضمحلت وبقي البقاء العام لأمة الإسلام لأهل السنة والجماعة على بقاء بعض النحل التي ستبقى إلى قيام الساعة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح: "إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى افترقت على ثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا واحدة". [1]

---

[1] أخرجه بألفاظ مختلفة لكنها متقاربة "أحمد" في "مسنده" (14 : 124) و "أبوداود" في "سننه" في أول (كتاب السنة) (4596)، وفي رواية له (4597): "وواحدة في الجنة وهي الجماعة".

الاعتماد على النصوص الشرعية:

السمة التاسعة: ومن سمات المنهج السلفي في الدعوة: أنه منهج يعتمد على النصوص الشرعية، وعلى القواعد المأخوذة من النصوص من كلام أهل العلم، فلدى هذا المنهج كليات تحكم طبيعة دعوته فالأدلة مقدمة، والقواعد العامة مقدمة، لأنه لابد من ضبط للدعوة وإلا تعددت الاجتهادات.

فإذا كان هناك رجوع إلى الدليل وإلى القواعد فإن الدعوة تتقارب، ومن ذلك قاعدة العناية بالمصالح العامة وتقديمها على المصالح الخاصة.

المصالح الكلية العامة مهمة فإذا أتى منهج من مناهج الدعوة يريد أن يقدم مصلحة خاصة لمنهاجه على المصلحة العامة للأمة فإنه حين ذلك يشق طريقا فيه فرقة لهذه الأمة، ولهذا اعتنى السلف الصالح – رحمهم الله – بالمصلحة العليا للأمة وتفويت الأدنى من المصالح الخاصة حتى لو كانت مصالح متعلقة بالداعية ذاته أو ببعض المسائل، فإنهم يفوتون المصلحة الدنيا لتحصيل المصالح الكلية، وهذا إنما يقدره أهل العلم، والزمان يتفاوت والناس يتفاوتون، لهذا قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله تعالى رحمة واسعة –: "تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور".[1]

يعني أن اجتهاد العالم يحدث له قضاء جديد لأجل أن الناس أحدثوا فجورا في حياتهم في منحى من المناحي، مثل أيضا إعمال قاعدة سد الذرائع.

الذرائع: جمع ذريعة، وهي في الشرع كل وسيلة، أو كل طريق إلى غيره، لكنه في القاعدة عنوا بالذرائع الموصولة إلى ما هو منهي عنه في الشرع، لذلك هناك قاعدتان يعمل بهما في ذلك.

القاعدة الأولى: أنه ما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع، أن يكون المشروع واجبا، فما لا يتم الواجب إلا به يكون واجبا، وما لا يتم المستحب إلا به يكون مستحبا، لأن الوسائل لها أحكام الغايات.

القاعدة الثانية: سد الذرائع، ومن المعلوم أن الذرائع عند الأصوليين وأصحاب القواعد ثلاثة أقسام:

وأخرجه "الترمذي" في "جامعه" في (كتاب الإيمان باب ما جاء في افتراق هذه الأمة) (2640) كلهم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه -، وفي رواية للترمذي (2641) قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: ومن هي يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي".

[1] كما في "تاريخ قضاة الأندلس" (1: 61). و "بدائع السلك في طباع الملك" (1: 61، 184) و "معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام" (2 : 355) و"تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام" (4: 282) و (5: 30) و"مقاصد الشريعة الإسلامية" لمحمد الطاهر بن عاشور (25، 252).
ونسبه "ابن القيم" في "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية" (285) إلى "مالك" رحمه الله تعالى.

القسم الأول: ذريعة أجمع العلماء على عدم سدها، مثل زراعة العنب، ومثل بيع السكاكين، ومثل بيع وسائل الإشعاع.

فهل نقول: نمنع العنب لئلا يشرب الناس الخمر؟

أجمع العلماء على أنه لا يجوز سد هذه الذريعة، لأنها ذريعة متوهمة ونادرة.

وهل نقول: نمنع بيع السكاكين لئلا يقتل الناس بالسكين؟

أجمع أهل العلم على أن هذه ذريعة لا تسد. وكذلك لا نحفر آبارا حتى لا يجيء أحد ويطيح في البئر ويموت.

أجمع العلماء على أنها لا تسد،وأمثال ذلك كثير.

فإعمال قاعدة سد الذرائع في الدعوة يجب أن تكون بمقدارها، لا نقول: والله هذه ذريعة نسدها، فأحيانا بعض الذرائع لا تسد لأجل ظهور الحاجة العامة إليها.

القسم الثاني: من الذرائع ما اتفق العلماء على أنه يسد، مثل الخلوة بالمرأة الأجنبية، وتكشف المرأة بإظهار مفاتنها وتبرجها أمام رجل أجنبي. فهذا مما اتفق العلماء على أنها تسد، وأمثال ذلك كثير.

القسم الثالث: من الذرائع مسائل اختلفوا فيها، هل تسد أم لا تسد؟ وهذه المختلف فيها يأتي كثير منها في أمور الدعوة مثل بعض الأشياء التي يتكلم فيها أو يأتيها بعض الدعاة، مثل بعض الأعمال الدعوية، ومثل مخيمات أو معسكرات، الخ ..

بعض الناس يقول: هذه ذريعة إلى طرق الصوفية أو إلى ما أشبه ذلك.

وآخرون يقولون: لا، هذه وسيلة تكون نافعة، وإذا كان هناك خلاف في هذه الذرائع التي هل تسد أو لاتسد في المنهاج الدعوي فلابد من الرجوع إلى أهل العلم بحصول اجتهاد في هذه استنادا إلى الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، فإذا اختلف أهل العلم الراسخون في ذلك، فإن المسألة يكون فيها سعة بذلك. (يتبع)

* * *

مكانة الصحابة

رحماء بينهم
التراحم بين آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وبين بقية الصحابـــة رضي الله عنهم أجمعين

(3)

الشيخ صالح بن عبد الله الدرويش

المبحث الثالث: دلالة الثناء

أيها القارئ الكريم!

هل عشت في غربة مع رفقة من أهلك وعشيرتك بل من قريتك؟ كيف عشتم سنوات الغربة؟؟ هل عشت في ثكنة عسكرية مع هؤلاء أو مع أحبابك ؟؟

أيها القارئ الكريم! هل عشت في فقر واضطهاد مع أصحابك الذين اجتمعت معهم برباط عقائدي يجمع بين العقل والعاطفة؟ ما رأيك فيمن عاش هذه المواقف كلها، وكانوا كلهم رفقة أصحابا في السراء والضراء، بل معهم خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم؟

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولاسيما السابقين عاشوا تلك المواقف، فكانت حياتهم الاجتماعية مختلفة، ولها طابعها الخاص، الذي يعرفه كل من درس السيرة، أو كان له اهتمام بسيط بحياة الحبيب صلى الله عليه وسلم.

أيها القارئ الكريم! لعلك وأنت تقرأ هذه الأسطر تنتقل معي إلى أعماق التاريخ، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكة في دار الأرقم والدعوة سرية، ثم لما ظهر الإسلام هناك، ثم لما هاجر أصحابه الكرام إلى الحبشة بلاد الغربة وبعدها إلى المدينة، لقد تركوا الأهل والأموال والوطن، فتأمل حالهم في الأسفار البعيدة الشاقة وهم على الإبل وسيرا على الأقدام، عاشوا جميعا الخوف والحصار في المدينة في غزوة الخندق، وقطعوا البيداء والقفار في غزوة تبوك، عاشوا مرحلة الانتصارات في بدر، والخندق، وخيبر، وحنين وقبلها مكة وغيرها.

تأمل في الآثار النفسية! كيف تكون المودة والصحبة بينهم؟ ولا يغب عن ذهنك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم، وهو القائد لهم والمربي والمعلم، وليكن حاضرا في ذهنك أن القرآن ينزل من رب السماوات والأرض إلى قائد هذه المجموعة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تأمل في هؤلاء! اجتمعت قلوبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتآلفت .. قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتربيتهم وعاش معهم والقرآن ينزل عليهم، فتصور معي تلك المواقف والأيام. لا شك أن الوفاق والوئام والمحبة هي السائدة بينهم، قال الله تعالى: (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) (آل عمران: 103).

لو تكرمت تدبر في معانيها: شهادة من الله سبحانه وتعالى لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه (فألف بين قلوبكم) (آل عمران: 103) هذه منة من الله تعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا راد لفضل الله.

نعم كانت العداوة بين الأوس والخزرج مشتعلة، ولكن الله سبحانه وتعالى أزال هذه العداوة وجعل بدلا منها محبة ووئاما.

أيها القارئ الكريم! ما يضرك أن تؤمن بهذا وأن تحسن الظن بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ربهم سبحانه يشهد لهم ويذكرهم بفضله عليهم، من جعلهم إخوة صافية قلوبهم، استقر فيها التآلف والمحبة والوئام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ويدل على العموم الآية التالية: قال الله تعالى: (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) (سورة الأنفال).

أيها القارئ الكريم! تأمل في الآية وكرر تلاوتها ففيها ذكر الفضل من الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالنصر وبالمؤمنين، والذي يهمنا هنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لو أنفق مال الأرض جميعا ما حصل له ذلك، ولكن الله سبحانه هو صاحب الفضل، ومع ذلك يوجد من ينكر ذلك وتأبى نفسه إلا مخالفة النصوص والزعم أن العداوة هي السائدة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الله عز وجل يخبرنا بأنه ألف بين قلوبهم، وألف بينهم، وجعلهم إخوانا، وجعلهم رحماء بينهم، ومع ذلك تكرر الأساطير والأخبار بأن العداوة بينهم قائمة ! !

وقد جاءت آيات كثيرة – سبق ذكر بعضها – في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم، وآيات في ذكر أوصافهم وأفعالهم، ومنها الإيثار الناتج عن المحبة:

قال الله تعالى: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون، والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (سورة الحشر)

وما سبق فيه إشارة إلى بعض النصوص القرآنية وهي كثيرة، وقد اقتصرنا على ما يدل على المحبة، ويؤكد وجودها، وأنها متأصلة في قلوب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكما لا يخفى عليك فإن الإيثار، والأخوة، والموالاة، وألفة القلوب، كل هذه المعاني وردت فيها نصوص قرآنية وهي تؤكد على صفة المحبة، وقد جاء أكثر من نص قرآني صريح فيها، فتأمل الآية السابقة ففيها إثبات محبة الأنصار للمهاجرين وتأمل في آخر آية من سورة الفتح.

وبعد: إليك هذه القصة التي رواها علي الأربلي في كتابه كشف الغمة (ج 2 / 78 ط إيران) عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، قال: (جاء إلى الإمام نفر من العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تخبرونني؟ أأنتم المهاجرون الأولون: (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) (سورة الحشر)؟ قالوا: لا، قال: فأنتم الذين: (تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) (الحشر: 9) قالوا: لا. قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: (والذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) (الحشر: 9) اخرجوا عني، فعل الله بكم). اهـ

فهذا فهم زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام وهو من التابعين، وقد امتلأت الكتب في ثناء بعضهم على بعض: كتب أهل السنة وكذلك كتب الشيعة، والدارس لكتاب نهج البلاغة يجد خطبا كثيرة وإشارات صريحة كلها في الثناء على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد اخترت واحدة فيها لما فيها من اقتباس من القرآن الكريم.

قال الإمام علي عليه السلام: (لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما أرى أحدا يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا وقد باتوا سجدا وقياما، يراوحون بين

جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفا من العقاب، ورجاء للثواب) ا.هـ.

وكلامه عليه السلام في الثناء عليهم يطول، ولحفيده الإمام زين العابدين رسالة ضمنها الدعاء لهم والثناء عليهم، وتجد لكل إمام من الأئمة عليهم السلام أقوالا كثيرة في الثناء على الصحابة رضي الله عنهم، بل قد جاءت روايات كثيرة عنهم فيها التصريح بالثناء على الخلفاء الراشدين وأمهات المؤمنين وغيرهم ولو جمعت لجاءت في مجلدات.

أيها القارئ الكريم! لقد أكثرت عليك الكلام مع حرصي على الاختصار فأرجو المعذرة وأسأل الله الكريم أن ينفعني وإياك به، ولكن لابد من بيان الحقيقة متكاملة، وآمل أن تصبر معي قليلا، فإن الرسالة أوشكت على الانتهاء، وبقيت وقفة مختصرة لبيان منزلة آل البيت لدى أهل السنة والجماعة، لكي تعلم وفقك الله تعالى بأن أهل السنة حريصون كل الحرص على التمسك والعمل بالقرآن الكريم (الثقل الأكبر) وهم كذلك متمسكون بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم (العترة) وهذه المسألة تحتاج إلى دراسة مستقلة.

ففيما سبق تأكيد للرحمة بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم، وفيهم أقاربه وخواصه الذين دخلوا معه في الكساء، وفي الوقفة الآتية إيضاح لبعض حقوقهم كما قررها علماء السنة رحمهم الله تعالى.

موقف أهل السنة من آل البيت عليهم السلام

مطلب في التعريف اللغوي والاصطلاحي: آل البيت أهل الرجل، والتأهل: التزوج، قاله الخليل [1]. وأهل البيت: سكانه. وأهل الإسلام من يدين. [2]

أما الآل: فجاء في معجم مقاييس اللغة قوله: آل الرجل: أهل بيته [3] ..

وقال ابن منظور: "وآل الرجل أهله، وآل الله وآل رسوله: أولياؤه، أصلها (أهل) ثم أبدلت الهاء همزة، فصار في التقدير (أأل) فلما توالت الهمزتان أبدلت الثانية ألفا" [4] وهو لا يضاف إلا إلى ما فيه شرف غالبا، فلا يقال (آل الحائك) خلافا لأهل، فيقال: أهل

---

[1] انظر: كتاب العين (4 / 89).
[2] الصحاح (4 / 1628)، ولسان العرب (11 / 28).
[3] معجم مقاييس اللغة (1 / 161).
[4] لسان العرب (11 / 31)، وبنحوه الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن (30).

الحائك. وبيت الرجل داره [1]، وإذا قيل: البيت انصرف إلى بيت الله الكعبة، لأن القلوب – قلوب المؤمنين – تهوي إليه، والنفوس تسكن فيه، وهو القبلة، وإذا قيل أهل البيت في الجاهلية انصرف إلى سكانه خاصة، وبعد الإسلام إذا قيل أهل البيت فالمراد آل رسول الله صلى الله عليه وسلم [2].

ما المراد بآل الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

اختلف العلماء في تحديد آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم على أقوال أشهرها:

1 – هم الذين حرمت عليهم الصدقة. قاله الجمهور.

2 – هم ذرية النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته، واختاره ابن العربي في أحكام القرآن وانتصر له، ومن القائلين بهذا القول من أخرج زوجاته.

3 – إن آل النبي صلى الله عليه وسلم هم أتباعه إلى يوم القيامة، وانتصر له الإمام النووي في شرحه على مسلم، وكذلك صاحب الإنصاف، ومن العلماء من حصره في الأتقياء من أتباع المصطفى صلى الله عليه وسلم. والراجح القول الأول.

سؤال: من هم الذين حرموا الصدقة ؟؟

هم بنو هاشم وبنو المطلب، وهذا الراجح، وبه قال الجمهور، ومن العلماء من قصره على بني هاشم فقط دون بني المطلب.

والمراد بآل الرسول صلى الله عليه وسلم عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية هم الأئمة الاثني عشر فقط دون غيرهم ولهم تفصيلات وتفريعات ليس هنا محل بسطها، فإن الخلاف بين فرقهم كبير في هذه المسألة ولأجلها حصل التفرق. (راجع كتاب: فرق الشيعة للنوبختي)

(يتبع)

***

[1] لسان العرب (2 / 14).

[2] المفردات في غريب القرآن (29)، وقد أطال شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله الكلام عن هذا في مصنف خاص بهذا الشأن (جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام) فارجع إليه، وإلى مقدمة المحقق، فقد ذكر الكتب التي صنفت في هذا الموضوع وهذا يدلك على اهتمام علماء السنة بهذا.

آداب إسلامية

آداب الصلاة

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، جاركند

روى الإمام مسلم في السهو في الصلاة خمسة أحاديث على خمسة أنحاء، وهي كما يلي:

1 – عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أحدكم إذا قام يصلي جاءه الشيطان فلبس عليه حتى لا يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدتين وهو جالس. [1]

2 – عن عبد الله بن بحينة قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين من بعض الصلوات، ثم قام فلم يجلس، فقام الناس معه، فلما قضى صلاته ونظرنا تسليمه كبر فسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم ثم سلم. [2]

3 – عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثا أو أربعا فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم، فإن كان صلى خمسا شفعن له صلاته، وإن كان صلى إتماما لأربع كانتا ترغيما للشيطان. [3]

4 – عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد أنه قال: سمعت أبا هريرة يقول: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين، فقام ذو اليدين فقال: أقصرت الصلاة يا رسول الله أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن، فقال: قد كان بعض ذلك يا رسول الله، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال: أصدق ذو اليدين؟ فقالوا: نعم يا رسول الله ! فأتمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقي من الصلاة، ثم سجد سجدتين وهو جالس بعد التسليم. [4]

---

[1] صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة الخ.
[2] صحيح مسلم.
[3] صحيح مسلم كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة الخ .
[4] صحيح مسلم.

5 – عن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد سجدتي السهو بعد السلام والكلام.[1]

قال النووي: واختلف العلماء في كيفية الأخذ بهذه الأحاديث فقال داود: لا يقاس عليها بل تستعمل في مواضعها على ما جاءت، وقال أحمد رحمه الله تعالى كقول داود في هذه الصلوات خاصة، وخالفه في غيرها وقال: يسجد فيما سواها قبل السلام لكل سهو، وأما الذين قالوا بالقياس فاختلفوا، فقال بعضهم هو مخير في سهو إن شاء سجد بعد السلام وإن شاء قبله في الزيادة والنقص، وقال أبوحنيفة رضي الله عنه: الأصل هو السجود بعد السلام، وتأول باقي الأحاديث عليه، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: الأصل هو السجود قبل السلام، ورد بقية الأحاديث إليه، وقال مالك رحمه الله تعالى: إن كان السهوة زيادة سجد بعد السلام، وإن كان نقصا فقبله، فأما الشافعي رحمه الله تعالى فيقول: قال في حديث أبي سعيد فإن كانت خامسة شعفها ونص على السجود قبل السلام.

مع تجويز الزيادة والمجوز كالموجود، ويتأول حديث ابن مسعود رضي الله عنه في القيام إلى خامسة والسجود بعد السلام على أنه صلى الله عليه وسلم ما علم السهو إلا بعد السلام، ولو علمه قبله يسجد قبله، ويتأول حديث ذي اليدين على أنها صلاة جرى فيها سهو فسها عن السجود قبل السلام فتداركه بعده. هذا كلام المازري وهو كلام حسن نفيس. وأقوى المذاهب هنا مذهب مالك رحمه الله تعالى ثم مذهب الشافعي، وللشافعي رحمه الله تعالى قول كمذهب مالك رحمه الله تعالى، وقول بالتخيير وعلى القول بمذهب مالك رحمه الله تعالى لو اجتمع في صلاة سهوان سهو بزيادة وسهو بنقص سجد قبل السلام. قال القاضي عياض رحمه الله تعالى وجماعة من أصحابنا ولا خلاف بين هؤلاء المختلفين وغيرهم من العلماء أنه لو سجد قبل السلام أو بعده للزيادة أو للنقص أنه يجزيه ولا تفسد صلاته، وإنما اختلافهم في الأفضل والله أعلم. قال الجمهور لو سها سهوين فأكثر كفاه سجدتان للجميع، وبهذا قال الشافعي ومالك وأبوحنيفة وأحمد رضوان الله عليهم وجمهور التابعين، وعن ابن أبي ليلى رحمه الله تعالى لكل سهو سجدتان وفيه حديث ضعيف.[2]

وفي السهو في الصلاة مسائل ذكرها النووي:

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة.

[2] شرح صحيح مسلم 1 / 210 .

إحداها – أن سجود السهو قبل السلام إما مطلقا كما يقوله الشافعي وإما في النقص كما يقوله مالك.

الثانية – إن التشهد الأول والجلوس له ليسا بركنين في الصلاة ولا واجبين، إذ لو كانا واجبين لما جبرهما السجود كالركوع والسجود وغيرهما وبهذا قال مالك وأبوحنيفة والشافعي رحمهم الله تعالى، وقال أحمد في طائفة قليلة: هما واجبان، وإذا سها جبرهما السجود على مقتضى الحديث.

الثالثة – فيه أنه يشرع التكبير بسجود السهو وهذا مجمع عليه، واختلفوا فيما إذا فعلهما بعد السلام هل يتحرم ويتشهد ويسلم أم لا ؟ والصحيح في مذهبنا أنه يسلم ولا يتشهد، وهكذا الصحيح عندنا في سجود التلاوة أنه يسلم ولا يتشهد كصلاة الجنازة، وقال مالك: يتشهد ويسلم في سجود السهو بعد السلام، واختلف قوله هل يجهر بسلامهما كسائر الصلوات أم لا، وهل يحرم لهما أم لا، وقد ثبت السلام لهما إذا فعلتا بعد السلام في حديث ابن مسعود وحديث ذي اليدين، ولم يثبت في التشهد حديث. واعلم أن جمهور العلماء على أنه يسجد للسهو في صلاة التطوع كالفرض، وقال ابن سيرين وقتادة: لا سجود للتطوع وهو قول ضعيف غريب عن الشافعي رحمه الله تعالى.[1]

31 – يُسن لقارئ القرآن والمستمع أن يسجد إذا مرّ بآية فيها سجدة، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن، فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته.[2]

قال النووي: واعلم أنه يشترط لجواز سجود التلاوة وصحة شروط صلاة النفل من الطهارة عن الحدث والنجس وستر العورة واستقبال القبلة، ولا يجوز السجود حتى يتم قراءة السجدة، ويجوز عندنا التلاوة في الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها لأنها ذات سبب، ولا يكره عندنا ذوات الأسباب.[3]

32 – من أدب الجلوس في الصلاة وكيفيته أن يضع الرجل يديه عن ركبتيه، ويرفع اصبعه اليمنى التي تلي الإبهام فيدعو بها، ويضع يده اليسرى على ركبته اليسرى باسطها عليها، وأن ينصب قدمه اليمنى إذا جلس في الصلاة. فعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه

---

[1] شرح صحيح مسلم 1 / 211، طبع الهند.
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب سجود التلاوة.
[3] شرح صحيح مسلم 1 / 216 .

وسلم كان إذا جلس في الصلاة وضع يديه على ركبتيه ورفع إصبعه التي تلي الإبهام فدعا بها، ويده اليسرى على ركبته اليسرى باسطها عليها.[1]

33 – يستحب أن يأتي الرجل الصلاة بسكينة ووقار، وأن لا يأتي ساعيا سواء كانت صلاة الجمعة وغيرها، وسواء خاف فوت تكبيرة الإحرام أم لا.

فعن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا".[2]

34 – يستحب أن لا يقوم أحد حتى يفرغ المؤذن من الإقامة.

هذا مذهب الشافعي رحمه الله تعالى وطائفة، ومذهب مالك رحمه الله تعالى وعامة العلماء أنه يستحب أن يقوموا إذا أخذ المؤذن في الإقامة.

وقال جمهور العلماء من السلف والخلف: لا يكبر الإمام حتى يفرغ المؤذن من الإقامة.[3]

35 – إذا أدرك المسبوق مع الإمام ركعة كان مدركا لفضيلة الجماعة بلا خلاف.[4]

36 – استحباب الإبراد بالظهر، فعن أبي هريرة أنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم".[5]

وإلى القول بالإبراد بالظهر ذهب جمهور العلماء، وجمهور الصحابة، والشافعي رحمه الله تعالى لكثرة الأحاديث الصحيحة فيه المشتملة على فعله والأمر به في مواطن كثيرة.[6]

37 – يستحب التبكير بصلاة العصر في أول وقتها، وإن وقتها يدخل بمصير ظل الشيء مثله، عن أنس بن مالك أنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب إلى العوالي والشمس مرتفعة.[7]

وعنه قال: كنا نصلي العصر فيذهب الذاهب إلى قباء فيأتيهم والشمس مرتفعة.[8]

---

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب صفة الجلوس في الصلاة الخ.
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب اتيان الصلاة بوقار وسكينة الخ.
[3] انظر لمزيد من البسط شرح صحيح مسلم للنووي 1 / 221، طبع الهند.
[4] شرح صحيح مسلم 1 / 221 .
[5] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب الإبراد بالظهر الخ.
[6] شرح صحيح مسلم 1 / 224 .
[7] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر.
[8] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر.

وعنه أيضا قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر، فلما انصرف أتاه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله إنا نريد أن ننحر جزورا لنا ونحن نحب أن تحضرها قال:نعم، فانطلق وانطلقنا معه فوجدنا الجزور لم تنحر فنحرت، ثم قطعت، ثم طبخ منها، ثم أكلنا قبل أن تغيب الشمس. [1]

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة تصريح بالمبالغة في التبكير بالعصر.

38 – ليس من أدب الصلاة أن يصلي الرجل مسرعا بحيث لا يكمل الخشوع والطمانينة والأذكار، كما في الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن أنه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة حين انصرف من الظهر، وداره بجنب المسجد، فلما دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال:فصلوا العصر، فقمنا فصلينا، فلما انصرفنا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا. [2]

39 – من فاتته صلاة وذكرها في وقت آخر ينبغي له أن يبدأ بقضاء الفائتة ثم يصلي الحاضرة، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب يوم الخندق جعل يسبّ كفار قريش وقال يا رسول الله! والله ما كدت أن أصلي العصر حتى كادت أن تغرب الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فوالله إن صليتها، فنزلنا إلى بطحان فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضأنا، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب. [3]

40 – يستحب تأخير العشاء إلى نصف الليل أو ثلث الليل فعن عائشة قالت: أعتم النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى ذهب عامة الليل وحتى نام أهل المسجد، ثم خرج فصلى فقال: إنه لوقتها، لولا أن أشق على أمتي. [4]

وانما يستحب تأخيرها لتطول مدة انتظار الصلاة، ومنتظر الصلاة في صلاة. [5]

(يتبع)

***

[1] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر.
[2] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب استحباب التبكير الخ.
[3] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الخ.
[4] رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها.
[5] شرح صحيح مسلم للنووي 1 / 228، طبع الهند.

سمو الإسلام

العيد في بيت النبوة

كتب الدكتور خالد بن عبد الرحمن الشايع الأمين المساعد للبرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، واصفا يوما بهيجا من أيام المدينة النبوية، أنه في صباح عيد سعيد كان البيت النبوي وما حوله يشهد مظاهر الاحتفال بالعيد، على مرأى وعلم من سيد البشر محمد عليه الصلاة والسلام، حيث كان الجميع يعبر عن فرحته بالعيد، ويحرص أن تكون احتفاليته تلك بمشهد من النبي الكريم، حبا وشوقا وتكريما له عليه الصلاة والسلام.

أما في داره الشريفة فتحدثنا عن ذلك عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فتقول: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "دعهما" فلما غفل غمزتهما فخرجتا.

وغير بعيد من الحجرة الشريفة كانت هنالك احتفالية أخرى تحدثنا عنها عائشة متممة لسياق حديثها المتقدم فتقول:

وكان يوم عيد يلعب السودان بالدِّرَق والحِراب، فإما سألت النبي صلى الله عليه وسلم وإما قال: "تشتهين تنظرين"؟ فقلت: نعم، فأقامني وراءه، خَدِّي على خدِّه،وهو يقول: "دونكم يا بني أرفدة" (لقب للحبشة) حتى إذا مَلِلْتُ قال: "حسبك" قلت: نعم، قال: "فاذهبي" رواه البخاري ومسلم في كتاب العيدين من صحيحيهما واللفظ للبخاري.

وفي موضع آخر قريب من الحجرة النبوية تنشأ احتفالية بهيجة بالعيد تولى شأنها عدد من الأطفال في أناشيد رائعة وبديعة في مدح النبي عليه الصلاة والسلام.

عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فسمعنا لغطا وصوت صبيان! فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا حبشية تزفن (تتمايل وتلعب) والصبيان حولها، فقال: "يا عائشة تعالي فانظري" فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعلت أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: "أما شبعت؟ أما شبعت؟" قال: فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر، قالت: فارفضَّ الناس عنها،

قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فرُّوا من عمر" قالت: فرجعت. رواه الترمذي.

وعندما نحاول معرفة طرف من تلك الأناشيد وكلماتها فإنها كانت بلغاتهم، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفهم عن معانيها، ففي المسند وصحيح ابن حبان عن أنس بن مالك أن الحبشة كانوا يزفنون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتكلمون بكلام لا يفهمه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يقولون"؟ قالوا: يقولون: محمد عبد صالح.

استنبط العلماء مما تقدم فوائد عديدة منها:

مشروعية التوسعة على العيال في أيام الأعياد بأنواع ما يحصل لهم بسط النفس وترويح البدن، وإذا كان الشخص بسبب كبره أو مكانته ووقاره لا يميل إلى الترويح والترفيه وهذا لائق به، إلا أن الآخرين وخاصة الأهل والأولاد ومن هم في مقتبل العمر يحبون ذلك ويميلون إليه، فينبغي أن يمكنّوا من هذا الرغبة الفطرية في إطار ما أباحته الشريعة.

وفيه أن إظهار السرور في الأعياد من شعار الدين، ولذلك لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم غناء الجاريتين الصغيرتين لم يمنعهما بل أقرهما، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع أبا بكر يريد منعهما قال: "دعهما" وفي رواية أخرى قال: "يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا، وهذا عيدنا" وفي رواية في المسند أنه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: "لتعلم اليهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة".

وفيه الرفق بالمرأة واستجلاب مودتها، فإنها مجبولة على المشاعر المرهفة والعواطف الرقيقة، ويحصل ذلك بتلبية رغباتها الفطرية ومطالبها الاعتيادية ما دامت مباحة، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في هذا الباب وبيوته الكريمة زاخرة بمظاهر الإحسان والتودد والوفاء لأمهات المؤمنين. وفي مشهد التقارب والتآلف الذي وصفته أم المؤمنين "خدِّي على خدّه"وما يتضمنه من التلاحم الوجداني والتواصل الروحي ما يؤكد أن العيد فرصة للململة ما لعله يكون تبعثر من أجزاء الصورة الزاهية لبيت الزوجية.

في وقوف المصطفى صلى الله عليه وسلم مع عائشة وهو من يُعرف عظيم قدره وجلال شأنه وضخامة مسئولياته من أجل لهو عائشة وترويحها عن نفسها درس للآباء والإخوة

والأزواج من أجل تحقيق هذا التوجه لدى الفتيات، ولذا كانت عائشة تقول: فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو. أي: قدّروا رغبتنا في ذلك إلى أن تنتهي الواحدة منا وتقضي نهمتها من ذلك. وقد وجد بالاستقراء أن التحجير على الأهل والذرية ومنعهم من نيل حاجاتهم من الترفيه والترويح يرجع بنتائج عكسية وبخاصة في المجال النفسي والاجتماعي.

إن انشغال الشخص باللهو والترفيه لا ينبغي أن ينسيه المنهج الشرعي والتربوي الذي ينبغي التحلي به، فاللهو والفرح لا يبرر ارتكاب المحرمات والإخلال بالوجبات ولا التسبب في أذى أحد من الناس، وهذا ما تلمح إليه السيدة عائشة في قولها: كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أنظر... وتوضحه أيضا بوصفها للجاريتين بأنهما صغيرتان ولم يكن الغناء لهما بعادة، إنما هو نشيد وأهازيج سامحت به الشريعة لتوافق المناسبة.

العيد في الإسلام ليس احتفالا فرديا، كما أنه لا يكتمل بفرح أفراد دون أفراد، بل هو فرح الأمة جميعا، ولذا جاءت الشريعة مؤكدة أن يكون الفرح والابتهاج للجميع، بداية بأحق الناس وهما الوالدان، وانتهاء بغيرهما ممن نرتبط به بعلاقة رحم أو صحبة أو جيرة، ومما يوضح ذلك: ما جاء به الهدي النبوي من توفير الطعام الذي هو أحد مقومات الفرح لكل أفراد المجتمع المسلم في صبيحة عيد الفطر وهناك في عيد الأضحى بما يتوفر من الأضاحي، ولن يتمكن أي نظام في العالم من توفير الطعام بهذا الشمول والتوقيت والتكامل للفقراء كما تحققه الشريعة الإسلامية.

ولأجل ذلك أدرك النبلاء والمحسنون من أهل الإسلام أن سد الحاجات ودفع الفاقات قرين كل مناسبة سعيدة، فالعيد فرح ورحمة ومودة وتواصل، ولا زال التاريخ يسطر مواقف النبلاء الذين لا تكتمل فرحتهم إلا بتوفير حاجات من حولهم من الفقراء والمحتاجين فراحوا يطعمونهم ويكسونهم ويغدقون عليهم.

والمفارقة الكبرى أن العيد بتجلياته السامية فرصة لدعوة غير المسلمين وتعريفهم بحقيقة الإسلام عبر علاقات "المجاملة" والتواصل الإسلامي الذي وجهنا إليه ربنا في قوله سبحانه: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) (الممتحنة: 8)

العيد في الإسلام شعيرة سامية متكاملة وموفية لحاجات الروح والجسد، فالعيد يأتي متوجا لشعائر عظيمة جليلة مما شرعه الله في رمضان وأشهر الحج من أنواع العبادات العظيمة، فتلك مبتغيات الروح: (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) (يونس: 58).

وأما الحاجات الجسدية والميول النفسية المندفعة نحو اللهو والترفيه واللعب ففي العيد الإسلامي ما يوفِّي ذلك، ولذا حرم في الإسلام صيام أيام العيد، إذ لا بهجة كاملة لمن وافى العيد وهو صائم لا يطعم ولا يشرب. ومما يومئ لتحقيق هذه المقاصد ما ثبت عن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: "قد أبدلكم الله خيرا منهما: يوم الأضحى ويوم الفطر" رواه أبوداود والنسائي. قال ابن جرير في ذكر أحداث السنة الثانية من الهجرة: "وفيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد، وخرج بالناس إلى المصلى، فكانت أول صلاة عيد صلاها.

وبهذا باتت الأمة الإسلامية مستغنية بكمال شرعتها وتمام نعمتها، قال الله سبحانه: (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (المائدة: 48).

قد كانت الحياة النبوية الشريفة بكل أيامها ولحظاتها أيام عيد ولحظات ابتهاج وسرور لكل من يخالطه صلى الله عليه وسلم ويجالسه ويهتدي بنور شرعته، ولذا كانت مجالس المصطفى صلى الله عليه وسلم محفوفة بالواردين على اختلاف أجناسهم وأعمارهم: وفود وسادة، جماعات وقادة، نساء يتعلمن ويستفتين، وشيوخ وشباب وأطفال، كل أولئك نالوا نصيبهم من تلك النعمة المهداة.

ولسوف تبقى هذه النعمة متاحة للبشرية جمعاء إلى قيام الساعة، وإنما يغنم ويربح من سار على النهج النبوي الشريف واقتفى هديه وسنته، قال الله تعالى: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (آل عمران: 164).

أسأل الله للجميع الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

(مع الشكر لمجلة الرابطة: العدد: 520)

* * *

أعلام الإسلام:

تحفة الأخباري بترجمة البخاري

(3-3) للإمام الحافظ ابن ناصر الدمشقي (777- 842 هـ)

تحقيق وتعليق: الشيخ محمد بن ناصر العجمي (الكويت)

وخرّج عبد الله بن عدي الحافظ في كتابه "أسامي رجال البخاري"، فقال: محمد بن يوسف بن بشر الفربري، يقول: سمعت النجم بن فضيل — وكان من أهل المعرفة والفضل — يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقد خرج من باب باستين قرية ببخارى وخلفه محمد بن إسماعيل، فكلما خطا النبي صلى الله عليه وسلم خطوة خطا محمد بن إسماعيل خطوة النبي صلى الله عليه وسلم ووضع قدمه على قدم النبي صلى الله عليه وسلم. وخرجه الخطيب في "تاريخه" من طريق ابن عدي. [1]

ورويناً عن أبي جعفر محمد بن أبي حاتم النحوي الوراق عن أبي عبد الله البخاري أنه قال له: ما توليت شراء شيء ولا بيعه قط. فقال له أبوجعفر: كيف، وقد أحل الله البيع؟ قال: لما فيه من الزيادة والنقصان والتخليط، فخشيت أني إن توليت ذلك أن أستوي بغيري. فقال له: ومن كان يتولى أمرك في أسفارك ومبايعتك؟ قال: كنت أكفى ذلك. [2]

وخرج الخطيب البغدادي في "تاريخه" من طريق أبي سعيد بكر بن منير: سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: منذ وُلدت ما اشتريت من أحد بدرهم شيئا قط، ولا بعت من أحد بدرهم شيئا قط، فسألوه عن شراء الحبر والكواغد فقال: كنت آمر إنسانا يشتري لي. [3]

وقال أبوسعيد بكر بن منير: كان حمل إلى محمد بن إسماعيل بضاعة أنفذها إليه فلان، فاجتمع بعض التجار إليه بالعشية، فطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم، فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه من الغد تجار آخرون، فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم

---

[1] "أسامي من روى عنهم البخاري" لابن عدي (92 / ب)، ومن طريقه الخطيب في "تاريخه" (2 / 10)، وابن عساكر (15 / 48أ)، والمزي في "تهذيب الكمال" (3 / 1171)، وذكر الخبر الغساني في "تقييد المهمل" (15 / ب)، والنووي في "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 68 / 1)، والذهبي في "السير" (12/ 405)، والسبكي في "طبقاته" (2 / 221)، والحافظ في "مقدمة الفتح" ص 490.

[2] "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 68 / 1)، و "السير" (12 / 446)، و "طبقات" السبكي (2 / 227).

[3] "تاريخ بغداد" (2 /11)، و "تاريخ دمشق" (15 / 48 ب).

فردهم، وقال: إني نويت البارحة أن أدفع إليهم بما طلبوا – يعني الذين طلبوا أول مرة – فدفع إليهم بربح خمسة آلاف، وقال: لا أحب أن أنقض نيتي. [1]

وقد بلغنا أن تجارته كانت من مال ورثه من أبيه، وكان يعطيه مضاربة لمن يتجر فيه، وكان يتصدق منه بالكثير ويبر الطلبة ويحسن إليهم.

رُوي أنه مرة ناول رجلا من الطلبة صرة فيها ثلاث مائة درهم خفية، فأراد الرجل أن يدعو له فقال له: ارفق، واشتغل بحديث آخر كي لا يعلم بذلك أحد. [2]

ورُوي أنه كانت له قطعة أرض يكريها من رجل كل سنة بسبع مائة درهم، فكان ذلك المكري يزرع فيها ما أحب من الربيعي والخريفي، فربما حمل إلى أبي عبد الله البخاري قثاة أو قثاتين، لأن أبا عبد الله كان معجبا بالقثاء النضيج، وكان يؤثره على البطيخ أحيانا، فكان يهب لهذاالزارع مائة درهم كل سنة بحمله القثاة إليه أحيانا. [3]

وخرّج الحافظ أبو بكر الخطيب في "تاريخه" من طريق أبي بكر محمد بن صابر بن كاتب سمعت عمر بن حفص الأشقر يقول: كنا مع محمد بن إسماعيل البخاري بالبصرة نكتب الحديث ففقدناه أياما، فطلبناه فوجدناه في بيت وهو عريان، وقد نفد ما عنده ولم يبق معه شيء، فاجتمعنا وجمعنا له الدراهم حتى اشترينا له ثوبا وكسوناه، ثم اندفع معنا في كتابة الحديث. [4]

وبلغنا أن البخاري ربما كان يأتي عليه نهار لا يأكل فيه إلا لوزة أو لوزتين، وأنه نفدت نفقته حين رحل إلى آدم بن أبي إياس العسقلاني، فجعل يأكل من نبات الأرض ولا يخبر أحدا بذلك. وذكر حينئذ حديثا قاله له محمد بن سلام عن عبدة، وأخبرنا به أبوإسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله المجاور، أنا أحمد بن أبي طالب البُناني، عن إبراهيم بن عثمان البغدادي، أنا محمد بن عبد الباقي الحاجب، وعلي بن عبد الرحمن الطوسي سماعا قالا: أنا مالك بن أحمد، أنا أحمد بن محمد الأهوازي، ثنا إبراهيم هو ابن عبد الصمد، ثنا أبو سعيد الأشج، ثنا عبدة، عن أبي رجاء الجزري، عن فرات بن سلمان، عن ميمون بن مهران، عن

---

[1] "تاريخ بغداد" (2 / 11، 12)، و "تاريخ دمشق" (15 / 48 ب، 39 أ)، و "السير" (12 / 448)، و "طبقات" السبكي (2 / 227)، و "مقدمة الفتح" ص 479، 480.

[2] "السير" (12 / 450).

[3] "السير" (12 / 449).

[4] "تاريخ بغداد" (2 / 13)، و "تاريخ دمشق" (15 / 41 أ)، و "السير" (12 / 448)، و "طبقات" السبكي (2 / 217).

ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما صبر أهل البيت على جهد ثلاثا إلا أتاهم الله عز وجل برزق". [1]

لفظ الأشج ولفظ ابن سلام شيخ البخاري: "ما من أهل بيت يصبرون". فلما مضى للبخاري ثلاثة أيام وهو صابر أتاه آت لا يعلم من هو وناوله دنانير في صرة وقال: أنفق عليك. [2]

وكان رحمه الله صاحب عبادة وأوراد، وكان يختم كل يوم في شهر رمضان ختمة.

خرّج الخطيب في "تاريخه" من طريق محمد بن خالد المطوعي، ثنا مسبح بن سعيد قال: كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن.

وكان يقرأ من السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند السحر في كل ثلاث ليال، وكان يختم بالنهار في كل يوم ختمة ويكون ختمة عند الإفطار كل ليلة ويقول: "عند كل ختمة دعوة مستجابة". [3]

وخرج أيضا في "التاريخ" فقال: كتب إليّ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن الحسين الجرجاني من أصبهان، يذكر أنه سمع أبا أحمد محمد بن محمد بن مكي الجرجاني يقول: سمعت محمد بن يوسف الفربري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي: أين تريد؟ فقلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: أقرئه مني السلام. [4]

ولقد كان رحمه الله تعالى للسنة معظما، وللعلم محترما، قال أبوسعيد بكر بن منير بن خليد بن عسكر: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل: أن احمل إليّ كتاب "الجامع" و "التاريخ" وغيرهما لأسمع منك.

---

[1] أخرجه ابن حبان في "المجروحين" (3 / 258) من طريق أبي سعيد الأشج به، وأخرجه أبو يعلى في "مسنده" (5708) من طريق ابن نمير به من مسند ابن عمر. وأخرجه البيهقي في "الشعب" (7 / 215) من طريق أبي الخطاب زياد بن يحيى، ثنا عبدة بن سليمان به، إلا أنه عنده من مسند ابن عباس وقال بعده: "إسناده ضعيف". والذي يترجح أنه من مسند ابن عمر، وذلك لأن زياد بن يحيى قد خالف ابن نمير والأشج فيقدمان عليه.

وإسناد هذا الحديث ضعيف، فإن أبا رجاء الجزري وهو محرز بن عبد الله مدلس، ولم يصرح بالسماع، ورمز السيوطي في "الجامع الصغير" (5 / 451 – "فيض القدير") لضعف هذا الحديث.

[2] انظر القصة بدون سياق الحديث: "السير" (12 / 448)، و "طبقات" السبكي (2 / 227)، و "مقدمة الفتح" ص 480.

[3] "تاريخ بغداد" (2 / 12)، و "تاريخ دمشق" (15 / 48أ)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1171)، و "السير" (12 / 438، 439)، و "طبقات" السبكي (2 / 223، 224)، و (مقدمة الفتح) ص 481.

[4] "تاريخ بغداد" (2 / 10)، و "تاريخ دمشق" (15 / 48 أ)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 68 / 1)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1171)، و "السير" (2 / 443)، و "طبقات" السبكي (2 / 223).

فقال محمد بن إسماعيل لرسوله: أنا لا أذل العلم، وأحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي، أو في داري، فإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار [1]، قال: فكان سبب الوحشة بينهما هذا. [2]

خرّجه الخطيب في "التاريخ"، وقال: أنا محمد بن علي بن أحمد المقرئ، أنا محمد بن عبد الله الحافظ، سمعت محمد بن العباس الضبي يقول: سمعت أبا بكر بن أبي عمرو الحافظ يقول: كان سبب مفارقة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري البلد – يعني بخارى – أن خالد بن أحمد الذهلي الأمير خليفة الظاهرية ببخارى سأل أن يحضر منزله، فيقرأ "الجامع" و "التاريخ" على أولاده، فامتنع أبو عبد الله عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلسا لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضا وقال: لا يسعني أن أخص بالسماع قوما دون قوم، فاستعان خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى عليه، حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، ودعا عليهم أبو عبد الله محمد بن إسماعيل فقال: اللهم أرهم ما قصدوني به في أنفسهم وأولادهم وأهليهم.

فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقل من شهر حتى ورد أمر الظاهرية بأن ينادى عليه، فنودي عليه وهو على أتان وأشخص على إكاف ثم صار عاقبة أمره إلى ما اشتهر وشاع.

وأما حريث بن أبي الورقاء فإنه ابتُلي بأهله، فرأى فيها ما يجل عن الوصف.

وأما فلان أحد القوم – وسماه – فإنه ابتلي بأولاده وأراه الله فيهم البلايا. [3]

وقال أبوجعفر محمد بن أبي حاتم: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرتُ أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموت محمد بن إسماعيل ذهاب العلم. [4]

---

[1] حديث صحيح ورد عن جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، أخرجه أحمد (2 / 263، 305، 344، 353، 495)، وأبوداود (3658)، والترمذي (2651) وحسنه، وابن ماجه (261)، وابن حبان (95)، وابن عبد البر في "الجامع" (1 / 4)، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (132، 133) وغيرهم، وهوحديث صحيح بطرقه وشواهده.

[2] "تاريخ بغداد" (2 / 33)، و "السير" (12 / 464)، و "طبقات" السبكي (2 / 232، 233)، و "مقدمة الفتح" ص 493.

[3] "تاريخ بغداد" (2 / 33، 34)، و "تاريخ دمشق" (15 / 54 أ)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1173)، و "السير" (12 / 465)، و "طبقات" السبكي (2 / 233)، و "مقدمة الفتح" ص 493.

وحريث بن أبي الورقاء من كبار فقهاء الرأي ببخارى، قاله السبكي بعد ذكره للحكاية.

[4] "تاريخ بغداد" (2 / 24)، و "تاريخ دمشق" (15 / 51أ)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1173)، و "السير" (12 / 418)، و "مقدمة الفتح" ص 484.

وبلغنا أن أهل سمرقند كتبوا إلى أبي عبد الله البخاري ليسير إليهم ويقرؤوا عليه، فسار متوجها إليهم إلى أن وصل إلى خرتنك نزل على غالب بن جبريل فأقام عنده مدة فمرض واشتد مرضه. [1]

قال أبو أحمد بن عدي: وسمعت عبد القدوس بن عبد الجبار السمرقندي يقول: جاء محمد بن إسماعيل إلى خَرْتَنْك، قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم فسمعته ليلة من الليالي وقد فرغ من صلاة الليل يدعو ويقول في دعائه: اللهم إنه قد ضاقت عليّ الأرض بمارحبت، فاقبضني إليك، قال: فما تم الشهر حتى قبضه الله عز وجل ، وقبره بخرتنك – رحمة الله عليه – [2]**. هذا هو المعروف أن قبره بخرتنك، وهو الصحيح، والله أعلم.**

وذكر ابن يونس في "تاريخ الغرباء": أن البخاري مات بمصر بعد الخمسين ومائتين.

قال أبو الفضل ابن العراقي [3]**: ولم أره لغيره، والظاهر أنه وهم. انتهى.**

وخرتنك: بفتح الخاء المعجمة بعدها راء ساكنة، ثم مثناة من فوق مفتوحة بعدها نون ساكنة وآخرها كاف.

وقيَّدها بعضهم بكسر الخاء، والمعروف الفتح، والله أعلم.

وروي أن البخاري لما كان بخرتنك أتاه من سمرقند رسول يحثه على السفر، فلبس خفيه وتعمّم وتهيّأ للركوب، فعجز وضعف ثم دعا بدعوات، فقضى في تلك الساعة – رحمة الله عليه – [4]**.**

قال الحافظ أبو بكر الخطيب في "تاريخه": أنا علي بن أبي حامد الأصبهاني في كتابه، ثنا محمد بن محمد بن مكي الجرجاني: سمعت عبد الواحد بن آدم الطواويسي قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقف في موضع ذكره، فسلمت عليه فرد السلام، فقلت: ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل

---

[1] انظر خبر نزوله على غالب بن جبريل: "السير" (12 / 466).

[2] "أسامي من روى عنهم البخاري" (94 / أ)، و "تاريخ بغداد" (2 / 34)، و "تاريخ دمشق" (15 / 254)، "تهذيب الكمال" (3 / 1173)، و "السير" (12 / 443، 466)، و "طبقات" السبكي (2 / 232)، و "مقدمة الفتح" ص 493.

[3] هو: الحافظ الشهير العراقي، وهو من شيوخه بالإجازة. انظر: "مقدمة التنقيح في حديث التسبيح" للمؤلف.

[4] "السير" (12 / 466، 467)، و "طبقات" السبكي (2 / 233، 234)، و "مقدمة الفتح" ص 493.
وقد اختصر المصنف الحكاية وهي في المصادر مطولة بأكثر من هذا.

البخاري، قال: فلما كان بعد أيام بلغني موته، فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيها [1].

⁎ كانت وفاته رحمه الله فيما قاله أبو أحمد بن عدي، وسمعت الحسن بن الحسين البزاز البخاري يقول: توفي محمد بن إسماعيل البخاري ليلة السبت عند صلاة العشاء، ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر، يوم السبت مستهل شوال من شهور سنة ست وخمسين ومائتين، عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوما رحمه الله [2].

وبلغنا: أنه لما دفن عَلَت سوار بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، وجعل الناس يختلفون إليه ويتعجبون من أمره، ولم تزل الرائحة الطيبة تظهر من قبره أياما كثيرة حتى تحدث الناس بذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وكثر التعجب، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره، وأظهروا التوبة مما كانوا أسرعوا فيه من مذموم المذهب [3].

قال أبو أحمد بن عدي: وسمعت الحسن بن البزاز يقول: رأيت محمد بن إسماعيل رحمه الله شيخا نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير.

وخرّجه الخطيب في "التاريخ" من طريق ابن عدي [4].

وفي شمائل البخاري غير ما ذكرناه، اكتفينا منه بما قدمناه، ولقد كان كبير الشأن، جليل القدر، عديم النظير، لم يرَ أحد شكله، ولم يخلف بعده مثله، فرحمه الله وأرضاه، وجعل جنة الفردوس مأواه، وأعاد علينا من بركته [5]، وجمع بيننا وبينه في الجنة برحمته، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وحسبنا الله ونعم الوكيل [6].

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

[1] "تاريخ بغداد" (2 / 34)، و "تاريخ دمشق" (15 / 54أ)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1173)، و "السير" (12 / 468)، و "طبقات" السبكي (2 / 232)، و "مقدمة الفتح" ص 493.

[2] "أسامي من روى عنهم البخاري" لابن عدي (94 /ب)، و "تاريخ بغداد" (2 / 3426)، و "تاريخ دمشق" (15 / 54 ب)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 68 / 1)، و "وفيات الأعيان" (4 / 190)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1170، 1173)، و "السير" (12 / 468)، و "مقدمة الفتح" ص 483.

[3] "السير" (12 / 467)، و "طبقات" السبكي (2 / 233، 234).

[4] "أسامي من روى عنهم البخاري" لابن عدي (92 / أ)، و "تاريخ بغداد" (2 / 6)، و "تاريخ دمشق" (15 / 40 ب)، و "تهذيب الأسماء واللغات" (1 / 68 / 1)، و "وفيات الأعيان" (4 / 190)، و "تهذيب الكمال" (3 / 1170)، و "السير" (12 / 452)، و "طبقات" السبكي (2 / 216).

[5] البركة من الله، وهو صاحب العطاء والفضل.

[6] بتوفيق الله وفضله انتهيت من تحقيق هذه الرسالة والتعليق عليها في السادس من ربيع الآخر 1412 هـ، وقد كان تحقيق هذه الرسالة في أثناء نقلة وترحال والحمد لله رب العالمين. (العجمي)

أسرار اللغة

الفروق اللغوية من خلال الآيات القرآنية

إعداد: وسيم المحمدي / المدينة المنورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد شغل الباحثين موضوع الترادف – وهو أن تؤدي أكثر من كلمة إلى معنى واحد – من قديم، فمنهم من ذهب إلى وجوده في اللغة العربية كابن خالويه اللغوي، وقد ألف كتاب الأسد ذكر فيه خمس مائة اسم للأسد، ومنهم من أنكر ذلك كأبي علي الفارسي، وأبي هلال العسكري، ورأوا أن ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات، أو بينها فروق دقيقة في المعاني، فالقعود عندهم غير الجلوس، والإنكار غير الجحد، وهكذا ....، وقد ألف أبو هلال العسكري في ذك مؤلفا مستقلا سماه بـ "الفروق اللغوية".

ولعل الأقرب في هذا الباب – والهل تعالى أعلم – أن الكلمات المترادفة تجتمع في أصل المعنى، وتفترق في الزيادة على هذا الأصل، فالجلوس والقعود واحد في أصل الصفة، إلا أن الجلوس من الاضطجاع، والقعود من القيام، وأنه قد يكون للشيء اسم وصفات، فتغلب بعض هذه الصفات على هذا الشيء ويشتهر بها، فتكون له كالاسم وهي في الحقيقة صفة له، كالسيف، والصارم، والقاطع، والمهند، وكالأسد، والضغيم، والقابوس.

وقد تناولت في هذا المقال الصغير بعض الفروق اللغوية، وحاولت أن أفسرها من خلال الآيات القرآنية.

1 – الفرق بين الإنكار والجحد:

أن الجحد أخص من الإنكار، وذلك أن الجحد إنكار الشيء الظاهر، والشاهد على ذلك قوله تعالى: "بآياتنا يجحدون"، فجعل الجحد مما تدل عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلا ظاهرا، وقال تعالى: "يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها" فجعل الإنكار للنعمة، لأن النعمة قد تون خافية.

ويجوز أن يقال: إن الجحد هو إنكار الشيء مع العلم به، والشاهد على ذلك قوله تعالى: "وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم" فجعل الجحد مع اليقين، والإنكار يكون مع العلم وغير العلم.

2 – الفرق بين "بلى" و "نعم":

أن "بلى" في الأصل لا تكون إلا جوابا لما كان فيه حرف جحد، كقوله تعالى: "ألست بربكم قالوا بلى"، وقوله: "ألم يأتكم رسل منكم" ثم قال في الجواب: "قالوا بلى".

و "نعم" تكون جوابا للاستفهام بلا جحد، كقوله تعالى: "فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم".

3 – الفرق بين الحقيقة والحق:

إن الحقيقة ما وضع من القول موضعه في أصل اللغة، حسنا كان أو قبيحا.

والحق ما وضع موضعه من الحكمة، فلا يكون إلا حسنا، قال تعالى: "وإن فريقا منهم ليكتمون الحق"، فلم يقل (ليكتمون الحقيقة)، لاشتماله الحسن، ولاشتمال الحقيقة الحسن والقبيح كليهما.

4 – الفرق بين السهو والنسيان:

أن النسيان إنما يكون عما كان، والسهو يكون عما لم يكن، تقول: نسيت ما عرفته، ولا تقول: سهوت ما عرفته، وإنما تقول: سهوت عن السجود في الصلاة، فتجعل السهو بدلا عن السجود الذي لم يكن، لذلك جاء في قوله تعالى: "إني نسيت الحوت" ولم يقل: "إني سهوت الحوت"، لأنه كان عن شيء الذي كان وجدت في الماضي.

5 – الفرق بين الشرح والتفصيل:

أن الشرح بيان المشروح واخراجه من وجه الإشكال إلى التجلي والظهور، ولهذا لا يستعمل الشرح في القرآن الكريم.

والتفصيل هو ذكر ما تتضمنه الجملة على سبيل الإفراد، ولهذا قال تعالى: "ثم فصلت آياته من لدن حكيم خبير) ولم يقل: (شرحت).

6 – الفرق بين العلم والفقه:

أن الفقه هو العلم بمقتضى الكلام على تأمله، ولهذا لا يقال: إن اله يفقه لأنه لا يوصف بالتأمل، وتقول لمن تخاطبه: تفقه ما أقول، أي: تتأمله لتعرفه، ومنه قوله تعالى:

"لا يكادون يفقهون حديثا"، وسمي علم الشرع فقها، لأنه مبني على معرفة كلام الله ورسوله.

وأما العلم فليس كذلك، ولذلك قال تعالى: "وهو العلم الخبير" دون الفقيه الخبير.

7 – الفرق بين الكذب والإفك:

أن الكذب اسم موضوع للخبر الذي لا مخبر له على ما هو به، وأصله في العربية التقصير، ومنه قولهم: كذب عن قرنه في الحرب، إذا ترك الحملة عليه، سواء كان الكذب فاحش القبح أو غير فاحش القبح.

والإفك هو الكذب الفاحش القبح، مثل الكذب على الله ورسله أو على القرآن، ومثل قذف المحصنة، وجاء في القرآن من هذا الوجه، فقال تعالى: "إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم" ولم يقل: "جاؤوا بالكذب"، وذلك لغاية قبحه ومقتضى فحشه.

8- الفرق بين الهمز واللمز:

قال المبرد: "الهمز هو أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع، أو يحثه ويوسده على أمر قبيح، أي: يغريه به، واللمز أجهر من الهمز، فقال تعالى: "يلمزك في الصدقات" أي: يطعن عليك ولم يقل: (يهمزك)، لأن الطعن يكون جهارا مسموعا، وقد جمعهما الله في قوله: "وويل لكل همزة لمزة).

9 – الفرق بين الهوى والشهوة:

أن الهوى محل الشيء من النفس مع الميل إليه بما لا ينبغي، ولذلك غلب على الهوى صفة الذم، وقد يشتهي الإنسان الطعام ولا يهوى الطعام، ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: "زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) ولم يقل: (حب الأهواء)، وقال تعالى: "ولئن اتبعت أهواءهم.." الآية، فلم يقل: "شهواتهم)، مراعيا لما بينهما من الفرق في الدلالة.

والله تعالى أعلم

***

بحوث ودراسات

كيفية التعامل مع أهل الكتاب في ضوء الكتاب والسنة

(2)

د. عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني

المبحث الثالث

دعوتهم إلى ترك الاستهزاء بالمؤمنين وعيبهم:

جاء في سبب نزول قوله تعالى: (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون). [1]

أخرج الطبري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود، فيهم أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وعازر، وزيد، وأزار بن أبي أزار، وأشبع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، قال: أومن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بما آمن به. [2]

إن الآية الكريمة تبين بوضوح الأمر الذي انطوت عليه قلوب كثير من أهل الكتاب ممن لم يدخل في الإسلام، وهو استهزاؤهم بالمؤمنين، وأنهم لا يجدون عيبا يعيبونهم به إلا الإيمان بالله – تعالى – وما أنزله على أنبيائه من الكتب، وهذا في الحقيقة ليس عيبا ولا شيئا يذمون به، وإنما هو استثناء منقطع كما قال – جل شأنه –: (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد). [3]، [4].

فالآية إذن تحذر أهل الكتاب مع ما هم عليه من ترك الإيمان والرضوخ للحق، تحذرهم من استصغار المسلمين وعيبهم والاستهزاء بهم أو بدينهم، يقول ابن جرير في بيان معنى الآية: "قل يا محمد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: هل تكرهون منا أو تجدون علينا، حتى تستهزؤا بديننا، إذا نادينا للصلاة اتخذتم نداءنا ذلك هزوا ولعبا، إلا أن صدقنا وأقررنا بالله – تعالى – فوحدناه، وبما أنزل إلينا من عند الله – تعالى – من

[1] المائدة (59).
[2] أخرجه الطبري (6 / 292).
[3] البروج (8).
[4] "تفسير القرآن العظيم" (3 / 74).

الكتاب وما أنزل قبله من الكتب على أنبيائه، إلا أن أكثركم فاسقون مخالفون أمر الله — تعالى — خارجون عن طاعته تكذبون عليه". [1]

وما ذكره ابن جرير بقوله: "إذا نادينا للصلاة اتخذتم نداءنا ذلك هزوا ولعبا" استنبطه من قوله — تعالى — في الآية السابقة للآية التي معنا: (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون) وهو: (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون). [2]

وقد جاء في التفسير عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى بالصلاة، فقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود: قد قاموا لا قاموا، فإذا رأوهم ركعا وسجدا استهزؤوا بهم وضحكوا منهم". [3]

إن هذه السخرية من المؤمنين والتي حذّر الله — تعالى — أهل الكتاب من فعلها لا يزال القوم يمارسونها إلى يومنا هذا، ومن يرد الله — تعالى — به خيرا منهم يوفقه للتوبة والدخول في دينه.

أقول: هذه الصفة التي فعلها القوم سلفا لا تزال في خلفهم إلى يومنا هذا، ذلك أن الاستهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين هو ديدن عدد منهم، كما يصفونهم بأنهم جهلاء، ليس عندهم سماحة ولا نقاش حر. [4]

ومن أمثلة أستهزائهم بالمؤمنين وعيبهم لهم: ما يظهر أحيانا في الأفلام الغربية الحديثة من تصوير العربي المسلم بصورة الغوغائي الدموي الحاقد على الغرب. [5]

ومن أمثلة الاستهزاء واللمز للمؤمنين إعلان ظهر في إحدى القنوات التلفازية الغربية عن أحد أنواع المنظفات الذي يبدأ بصوت المعلن قائلا: "إن هذا الصابون ينظف كل شيء حتى العربي" ثم يظهر شخص في زي عربي متسخ، وتحاول إحدى الفتيات تنظيفه بالمنظف الجديد، وينتهي الإعلان بقول الفتاة: "لقد بذلنا كل ما في وسعنا" ويظهر المعلن مرة أخرى ليقول: إن تقارير المختبرات أثبتت أن عدم نظافة العربي لا يرجع إلى عدم وجود المنظفات، ولكن لأن العربي لا يمكن أن يصبح نظيفا أبدا". [6]

---

[1] "جامع البيان" (6 / 291)، وانظر: "زاد المسير" (2 / 386)، و "مدارك التنزيل" (3 / 106)، و "روح المعاني، (6 / 172).

[2] المائدة (58).

[3] "الدر المنثور" (2 / 521) ط. دار الكتب العلمية.

[4] كما قرر ذلك سلمان رشدي في كتابه المشؤوم "آيات شيطانية".

[5] انظر: مقال "الإعلام الغربي وتشويه حقائق الصراع" د. باسم خفاجي، مجلة البيان، العدد (126).

[6] المرجع السابق.

إننا ننقل ذلك كله ليعلم المسلمون جميعا الحقد والبغض الذي يكنه القوم لهم، وهو أيضا تحذير للقوم من السبب المفضي في هذا الطريق الذي ربما سبّب لهم الهلاك العاجل بانتقام الله — تعالى — منهم بسبب ظلمهم، فقد جاء في الأثر عن السدي في قوله — سبحانه —: (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) قال: "كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي: أشهد أن محمدا رسول الله، قال: قاتل الله الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة من الليالي بنار وهو قائم وأهله نيام، فسقطت شرارة فأحرقت البيت، واحترق هو وأهله". [1]

المبحث الرابع

التحذير من محبتهم وموالاتهم:

إذا كان الإسلام قد حرّم ظلم المخالف لنا في الدين فقد حرم كذلك محبتهم وموالاتهم، وجاء النص صريحا في أهل الكتاب، يقول — سبحانه —: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين). [2]

إن الآية الكريمة نهي واضح للمؤمنين عن موالاة أهل الكتاب ومحبتهم، وهو الأمر الذي كان يلتبس على المسلمين، فيحسب بعضهم أنه جائز لهم بحكم ما كان واقعا من تشابك المصالح والأواصر، ومن قيام هذا الولاء بينهم وبين جماعات من اليهود قبل الإسلام، وفي أوائل العهد بقيام الإسلام في المدينة، والحق أن الآية الكريمة نص صريح في منع هذا اللون من الولاية، وهو أن يقوم بين الذين آمنوا وبين اليهود والنصارى بحال، بعد ما كان قائما بينهم أول العهد في المدينة.

ومن الغلط البين ما يحصل عند بعض المسلمين من الخلط بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه مكفولي الحقوق، وبين الولاء الذي لا يكون إلا لله — تعالى — ورسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، فإنه يقع من بعضهم الولاء لأهل الكتاب، ناسين أن ذلك هو سبب البلاء والخطر الكبير الذي يهددهم، لأن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة

[1] رواه ابن أبي حاتم وغيره كما في "الدر المنثور" (2 / 521) ط. دار الكتب العلمية.
[2] المائدة (51) .

المسلمة، وأنهم ينقمون من المسلمين إسلامهم، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم ولو كان اسمه مسلما، وأنهم مصرون على هذه الحرب. [1]

وقد قرر — سبحانه — في الآية الكريمة أن من يتولاهم فإنه منهم، أي: لا يتولاهم إلا من هو مثلهم، لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم تندرج شيئا فشيئا حتى يكون العبد منهم. [2]

وفي الآيات الكريمة ما يشير إشارة واضحة إلى أنه لا يفعل هذا المنكر العظيم إلا من ضعف إيمانه وبان نفاقه: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين). [3]

لقد ظهر من المنافقين من يتذرع في ولائه لأهل الكتاب بأن توليه إياهم إنما هو للحاجة، وهو أن يخشى أن تصيبه دائرة، أي تكون الدائرة لأهل الكتاب، وقد رد عليهم — سبحانه — بقوله: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) ولقد جاء الله — تعالى — بفتح مكة [4]، الذي أذل به أعداءه ونصر أولياءه، وقهر به المنافقين.

ولسوف يأتي الله — تعالى — كلما قال منافق كلاما على نحو ما قاله المنافقون من قبل، سيأتي الله — تعالى — بالفتح بعد الفتح، ولكن ذلك مرهون باستمساك المسلمين بعروة الله — تعالى — وحده، وإخلاصهم الولاء له وحده، إنه مربوط بالوعي بمنهج الله — تعالى ، وإقامة التصورات كلها وفق شريعته.

وإن قال قائل: قد عرفنا حرمة موالاة أهل الكتاب، ولكن ما صور تلك الموالاة؟

قيل له: صورها كثيرة، أهمها ما يلي:

---

[1] "في ظلال القرآن" (2 / 910)، وانظر: "جامع البيان" (6 / 275)، و "معالم التنزيل" (2 / 44)، و "تفسير القرآن العظيم" (2 / 69)، و "أحكام القرآن" للجصاص (4 / 293).
[2] "تيسير الكريم الرحمن" ص 235.
[3] المائدة (52).
[4] انظر: "تفسير القرآن العظيم" (2/ 69).

1 – الرضى بكفرهم، وعدم تكفيرهم، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح أي مذهب من مذاهبهم.

2 – اتخاذهم أعوانا وأنصارا، أو الدخول في دينهم.

3 – الإيمان بما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله – تعالى –.

4 – مودتهم ومحبتهم .

5 – طاعتهم فيما يأمرون ويشيرون .

6 – مجالستهم أو الدخول عليهم وقت استهزائهم بآيات الله – تعالى –.

7 – الرضى بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم.

8 – معاونتهم على ظلمهم ونصرتهم .

9 – تعظيمهم وإطلاق الألقاب عليهم، مثل (السادة والحكماء).

10 – السكنى معهم في ديارهم من غير ضرورة، وتكثير سوادهم.

11 – التآمر معهم، وتنفيذ مخططاتهم، والتجسس من أجلهم، ونقل عورات المسلمين وأسرارهم إليهم، والقتال في صفهم.

12 – الهرب من دار الحرب بغضا للمسلمين، وحبا لهم.

13 – الانضمام إلى الأحزاب العلمانية أو الإلحادية منهم، وبذل الولاء والحب والنصرة لها. [1]

(يتبع)

* * *

[1] انظر: "الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن" للباحث ص 307 – 309.

ركن الطلاب

كلمات في تكريم الآباء والأمهات

حسن البناء عبد الغفور
السنة الثانية للفضيلة
الجامعة السلفية، بنارس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الكريم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

قال الله تعالى: (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) (الذاريات: 55) وقال: (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) (التغابن: 12).

انفعالا بالأوضاع السائدة في بعض المجتمعات الإسلامية من ناحية السلوك والتعامل مع الآباء والأمهات، وامتلاء بعواطف الحب والحنان بالنسبة إليهم أزمعت على رصّ العديد من الصفحات – بإذن الله وتوفيقه – بما يتعلق بظاهرة التكدر والاشمئزاز من اصطحاب الآباء والأمهات المسنين والأخذ بأيديهم في أواخر أعمارهم ونصرهم وتموينهم واحتمال مصاريفهم وإسكانهم في مساكن مريحة، وباختصار كل ما يحتاجون إليه في أيام حياتهم الأخيرة التي يتهيؤون فيها للرحيل. والذي حفزني على ذلك مع تراكم الرسائل حول الإحسان بالوالدين خلوّ أكثرها من نقطة هامة تستحق تكرير لفت أنظار الناس إليها وإعادة نزع انتباههم إلى أهميتها للكافة والخاصة، لاتخاذما يلزم نحوه في أرض الواقع وإفراغ كل الوسع في هذا السبيل.

فأنا سأتحدث إليكم حول حقيقة أن الآباء والأمهات يكابدون زمن تربية أولادهم وتثقيفهم وتهذيبهم وتأديبهم من المشاق ما لا يجازى به في الدنيا، لا يمكن مجازاته إلا من الله القدير، وحول حقيقة أن الأمر بالإحسان يعم كفالتهم ومساندتهم في أواخر حياتهم خاصة، وفي جميع الأوقات على وجه العموم، وحول وظائف الأولاد بالنسبة إليهم، أبين لكم إن شاء الله كل هذا وذاك في غضون ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: الآيات الدالة على هذه الحقيقة:

1 – (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير). (لقمان: 14)

2 – (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون). (العنكبوت: 8)

3 – (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا .. الآية ..). (الأحقاف: 15)

وكل فرد شاهد أباه وأمه وعاين ما يصبران عليه من المعضلات وهما يربيان أولادهما فالفرد إن كان أكبر إخوانه وأخواته فإنه يلاحظ أن أباهم يهيئ له ولإخوانه وأخواته الصغار كل التيسيرات التي يحتاجون إليها في مسير حياتهم ولتكوين شخصيتهم تكوينا فائقا ممتازا، إن أمهم تقدم إليهم كافة التسهيلات من الطعام والشراب وغسل الثياب وطرد الأذى وكافة سبل الراحة. فبعد إلقاء نظرة خاطفة على هذه الخدمات التي يقدمانها إليهم لا يستطيع أحدهم أن ينكر معروفهم ويجحد إحسانهم ويرفض جميلهم إلا أن يقع فريسة الشيطان وتصير عادته الكفران.

القول الفصل:

فآيات القرآن الكريم الواضحة تكفي المسلمين لإثبات هذه الحقيقة الجلية التي لا غبار عليها ولا خفاء فيها. وكذلك الظروف والأوضاع التي تمر بعيوننا وعيون أهل المعمورة أجمعين تكفي، حتى الهندوس والمجوس وغيرهم ممن لم تكتب لهم نعمة الإسلام، إلا الذين ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وجعل على أبصارهم غشاوة، فاتضح من خلال هذه الأسطر أن الآباء والأمهات في تربية الأبناء والبنات يتجشمون أصعب المشقات وأوعر العقبات والله أعلم بحقيقة الحالات.

النقطة الثانية:

قول الله ... وبالوالدين إحسانا (الإسراء: 23) وأنه يوجب على المسلمين كفالة الآباء وتوفير ضرورات الحياة لهم:

إن مما لا ينكر إطلاقا أن الخطب والمحاضرات التي تنطوي على أمر الناس بالإحسان بآبائهم وأمهاتهم وتتضمن إرشادهم إلى جلب الخيروالراحة إليهم ونقح الأذى

وذود الآلام ودفع الأوجاع عنهم بكل وسيلة ممكنة يملكونها ويقدرون عليها، هذه الخطب والمحاضرات التي تحتوي على كل ذلك ترتج من هنا وهناك في الأوساط الإسلامية بأجمعها منذ أمد بعيد، والرسائل التي دبِّجت على هذا الموضوع تحتل مكانها المجلات والصحف التي تصدر من هنا وهناك في مختلف أرجاء البلاد، ولكنني أريد بهذه الأسطر أن أضيف إلى هذه الرسائل وتلك الخطب أمرا هاما يقل التركيز عليه فيها ويندر الإرشاد إليه ويزهد فيه الخطباء والكتاب، وهو أن الأمر بالإحسان لا ينحصر في السلوك الحسن معهم لمدة معينة يحصل فيها منهم التيسير والترفيه بالنسبة إلى الأولاد. بل الأمر يشمل أمورا تالية:

(1) طاعتهم والخضوع لأوامرهم ما لم تكن في معصية الله بحكم قول الله تعالى: وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما (لقمان: 65)، وهدى رسول الله عليه السلام: "لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف". (رواه أبوداود ح 2625 وصححه الألباني) فإذا قال لك أحدهما: افعل هذا، فافعله فور أمره من غير تريث راضيا مرضيا.

(2) لا تقل في حقها أي كلمة مريرة مهما غلب عليك الغضب وملك أعصابك ومشاعرك السخط وحتى لا يعمهما الشعور بأنهما خابا في عملهما والوصول إلى غايتهما وفوق ذلك فإن الله ينهى عنه أشد نهي ويرشد المسلمين إلى غير ذلك، حيث قال تعالى: (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) (الإسراء: 23).

(3) مصاحبتهما في الدنيا بالمعروف ولاسيما معاضدتهما وتلبية حاجاتهما وبالأخص نصرهما في أواخر حياتهما حيث لا يكون لهما سند ولا عضد حتى يوافيهما اليقين ويمضيا إلى رب العالمين، بحجة قوله تعالى: (وصاحبهما في الدنيا معروفا) (لقمان: 15)

القول الفصل:

فتبين من خلال الاستعراض الوجيز السالف أن الآية التي تزين خطب الخطباء وتجعل رسائل الكتاب رائعة تؤكد فيما تؤكد بشدة وصراحة على وجوب كفالة الآباء والأمهات في نهاية حياتهم وعدم طردهم وإخراجهم من بيوتهم وعدم استثقال احتمال

مؤنهم الزهيدة. فمن أظلم ممن يؤمن بآيات ربه ثم يعرض عنها ويخالفها بعمله وسلوكه المشين البشع مع والديه ؟! فاتقوا الله يا عباد الله واخشوه ولا تعرضوا أنفسكم والعقاب الشديد.

النقطة الثالثة:

وظائف الأولاد بالنسبة إلى آبائهم وأمهاتهم.

(نبذة في فضل ومكانة الآباء والأمهات من المنظور الإسلامي) إن من المزايا والمحاسن التي يمتاز بها الإسلام ويفوق من أجلها كافة الديانات في المعمورة أنه أنزل الآباء والأمهات منزلا كريما وحسب لهم حسابا عظيما فأرشد أتباعه في العديد من الآيات التي قد أسلفت بعضها إلى الإحسان إليهم والدعاء لهم بالخير والكف عن إيذائهم وإزعاجهم، ودل رسوله – صلوات الله وسلامه عليه – على منزلتهم السمية التي يتمتعون بها ونها أتباعه عن عقوقهم والإساءة إليهم أوكد نهى وقادهم إلى عرفان جميلهم وإزفاف الشكر إليهم.

فعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الجهاد، فقال: "أحيّ والداك؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد" (رواه مسلم ح 2549)

وعن ابن عمرو مرفوعا: "رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين. (روه الترمذي ح 1899، وصححه الألباني)

قال بهيز بن حكيم: حدثني أبي عن جدي، قال: قلت يا رسول الله! من أبرّ؟ قال: أمك، قال: قلت ثم من؟ قال: أمك، قال: قلت ثم من؟ قال: أمك، قال:قلت:ثم من؟ قال: ثم أباك. ثم الأقرب فالأقرب. (رواه الترمذي، ح 1897 وحسنه الألباني)

وقال أبو الدرداء سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه". (رواه الترمذي ح 190، وصححه الألباني)

وعن أبي هريرة مرفوعا: ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر،ودعوة الوالد على ولده. (رواه الترمذي ح 1905، وحسنه الألباني)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا، فيشريه، فيعتقه". (رواه مسلم ح **1510**)

وعن المغيرة بن شعبة مرفوعا: "إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات، ومنعاوهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال". (رواه البخاري ح **6473**)

وعن أبي بكرة مرفوعا: ألا أحدثكم بأكبر الكبائر، قالوا: بلى يا رسول الله! قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ... الحديث" (رواه الترمذي ح **1901**، وصححه الألباني)

وعن ابن عمرو مرفوعا: "من الكبائر أن يشتم الرجل والديه قالوا: هل يشتم الرجل والديه؟ قال: "نعم، يسب أبا الرجل فيشتم أباه، ويشتم أمه فيسب أمه". (رواه الترمذي ح **1902**، وصححه الألباني)

متطلبات هذا الفضل وتلك المنزلة:

فلما ثبت أن هذه الذوات الطيبة والنفوس الزكية تتبوأ مكانا غير مدفوع في نظر الشريعة المطهرة، فلنعلم أن لها حقوقا علينا ووظائف يتحتم علينا أداؤها وإيصالها إليهم بكل جد وأمانة، وتتضاعف هذه الواجبات على طلبة المدارس بدرجات، فهم أنوار عيون آبائهم وأمهاتهم وغايتهم العليا ومستقبلهم الزاهي وأمانيهم وآمالهم وثمار جهودهم المكثفة وذكرهم الحسن بعد وفاتهم، وفرحتهم ومسرتهم وافتخارهم واعتزازهم، فيتعين عليهم أن يحققوا أمانيهم وآمالهم ويدخلوا في نفوسهم السرور الدائم، ولا يخيبوا رجاءهم ولا يلقوهم في غياهب اليأس والتعاسة ودياجير البؤس والشقاء.

القول الفصل:

فتكشف أمام أعيننا بهذه السطور وانحسر اللثام عن أمر إنما أردت من خلال هذا المقال إيضاحه وإبانته، واتضح لنا الآن أن الشريعة الإسلامية الغراء أولت الآباء والأمهات أهمية بالغة ومنزلة عالية ومكانة سامية وفضلا زائدا مما يحتم على كل من ينتمي إلى الإسلام أن يعامل والديه أحسن معاملة ويرفق بهما ويحدب عليهما طيلة حياتهم، فأين نفور بعض المسلمين الذين خانتهم الروحانية والمعنوية واستولت عليهم عواطف المادية والمتعة واللذة الجوفاء، أين نفور هؤلاء من خدمة آبائهم وأمهاتهم حينما يكونون في أشد

حاجة إليها وفي الأنفاس الأخيرة من حياتهم؟ وبالأخص أين تكدر هؤلاءمن اصطحابهم بالمعروف وجلب الخير والراحة إليهم ومساندتهم ومعاضدتهم وإدخال السرور والفرحة في قلوبهم في أيام حياتهم الأخيرة؟ أين معاملات هؤلاء هذه كلها من هداية الإسلام الفريدة التي ضاق عن مثلها العالم بأسره عبر التاريخ البشري؟ والله إن بينهما لبعدا بعيدا ونقضا شديدا وفجوة واسعة لا يمكن سدها، فلو مضينا ولم يزل هذا شأننا بالنسبة إلى آبائنا وأمهاتنا الكرام الذين أقامهم الإسلام مقاما مرموقا وأوجب طاعتهم والإحسان بهم وردع عن عقوقهم وسوء المعاملة معهم أشد ما يكون، لو لم يزل هذا شأننا بالنسبة إليهم فلننتظر عقاب الله الشديد.

كلمة أخيرة:

خوفامن الإطالة والإملال وفرارا عن التكدير والتنفير بالمزيد من البسط والتفصيل واكتفاء بما مضى واقتناعا وإيمانا بكفايته للوصول إلى الغرض المستهدف والغاية القصوى وتكريرا للالتماس من نفسي ثم من كل مسلم يتحمس لدينه ويملك فيما بين جنبيه غيرة وحمية ونزعة إيمانية جياشة وعواطف الحب والحنين أن نحسن بآبائنا الكرام وأمهاتنا العطوفات إلى مدى طاقاتنا وقوانا ونبذل لخيرهم وصلاحهم كل ما في وسعنا ولا نسلمهم أبدا لمكروه مهما صغر وحقر، فلو وقع هذا الرشاد في قلب واحد وملك على نفس واحد وغلب على رجل واحد فإني من الفائزين "لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم". (رواه البخاري ح 3701)

وفي نهاية هذا المقال أدعو الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وصلى الله تعالى وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *